13 me Année No. 615

Lundi - 16 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٦١٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ١٦ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المدرســــة الرمزية

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... استرعى نظرى نوع من الأدب أسموه بالرمزية ، ولاأعلم حتى الآن تعريف هذا النوع ، وقد نبهنى إليه تلك الانذارات التى وجهها الأدباء إلى الشباب المحدثين بالآداب أن يكفوا عن تلك الطريقة الرمزية فانها عقيمة النتاج لا تجدى نفعاً . فما هى الرمزية فى الأدب ؟ وهل هى تقتصر على الآداب العربية فقط عدا الآداب العالمية ؟ وما هى نتائجها المضرة ؟ ... »

(بغداد — الكاظمية) جعفر آل ياسين

* * *

والرمزية التى يسأل عنها الأديب البغدادى قديمة فى العالم ، لأن الناس عرفوا الكتابة بالرموز قبل أن يعرفوا الكتابة بالحروف ، ولأن الكهانات الأولى كانت تستأثر بأسرار الدين وتضن بها أن تذاع للعامة على حقيقتها الصراح ، فكانت تعمد إلى الرموز أحياناً للتعبير عن تلك الأسرار .

ثم ارتفع حجر الكهانات عن أسرار الدين فتكلم الناس فيها وأفصحوا عما يعتقدونه من خفاياها ، ولكن الولع بالأسرار والبحث عن الغوامض والغيوب طبيعة فى بعض النفوس لاتخرجهم منها صراحة القول ولا إباحة التفكير المطلق لمن يشاء ، فظهر هؤلاء بين المسلمين كما ظهروا بين الأمم المسيحية والإسرائيلية ، وقسموا عندنا العلم إلى علم شريعة وعلم حقيقة ، وأرادوا بعلم الشريعة ما يبدو على ظواهر الأشياء ، وبعلم الحقيقة ما ينفذ إلى بواطن الأسباب المغيبة عن العقل المكشوفة للبصيرة ، وقابلهم عند الأمم الأخرى جماعة المتعمقين الموكلين بالغوامض والأسرار وهم المعروفون باسم الخفيين أو الـ Mystics ولا يزال لهم مريدون ودعاة فى كل عصر من عصور الآداب .

لكن المقصود بالرمزية فى الأدب الحديث هو تلك المدرسة التى راجت فى أوائل القرن الحاضر وظهرت فى فرنسا على أعقاب مدرسة « البرناسيين » أصحاب القول بجمال القالب وأناقة النفس والعكوف على المحاسن الظاهرة فى أساليب الشعر والنثر وصياغة العبارات ، وعندهم أن الصقل المحسوس هو آية الجمال والبلاغة فى جميع الفنون .

فلما راج مذهب البرناسيين هذا فى أواخر القرن الماضى ظهر الرمزيون يعارضونه ويغلون فى إنكاره ويذكرونهم بما نسوه من أسرار المعانى التى لاتبرز على وجوه الكلمات ، وينبهونهم إلى جمال الوحى والإيمان الذى أهملوه فى سبيل الصقل المحسوس والرونق البارز على صفحات الأساليب .

وقد كان الرمزيون على حق لولا الغلو الذى يندفع إليه أصحاب كل مدرسة جديدة حين يتصدون لحرب المدارس الأخرى فيذهبون من أقصى النقيض إلى أقصى النقيض .

فالأدب لايستغنى عن الوحى والاشارة ، وأبلغ الفن ما يجمع الكثير فى القليل ويطلق الذهن من وراء الظواهر القريبة إلى المعانى البعيدة التى تومئ إليها الألفاظ ولا تحتويها بجملتها إلا على سبيل التنبيه والتقريب .

ولكن هذه المدرسة غلت وتمادت فى الغلو حتى قام من دعاتها من يجعل الغموض والتعمية غرضاً مقصوداً لذاته ولو لم يكن من ورائه طائل ، وخيل إليهم أنهم مطالبون بالتعبير عن أنفسهم بالرموز وإن أغنتهم الحروف الواضحة والكلمات المفهومة ، فلم تعمر مدرستهم طويلا وسقطت فى الأدب الفرنسى كما سقطت فى آداب الأمم التى انتقلت إليها .

وقد أملى لأتباع هذه المدرسة فى الغلو أنها قامت للدعوة فى العصر الذى ظهر فيه « فرويد » وبشر بمذهبه القيم عن الأحلام ودلالتها على الوعى الباطن وما يستكن فيه من الأسرار المكتومة والنوازع المكبوتة .

وخلاصة هذا المذهب فيما يرجع إلى « الرمزية » أن الأحلام هى لغة الرمز التى يعبر بها «الوعى الباطن» عن شعوره المكبوت ؛ فالرجل المبتلى بالخوف من عدو منتقم أو من وهم مسلط عليه يرى فى نومه وحشاً ينقض عليه وينهشه بأنيابه ؛ والرجل الطامح إلى المجد يرى أنه سابح فى السماء على رؤوس الناس ، أو يرى أن الناس بالقياس إليه كالنمال فى جانب الفيلة الضخام . وهكذا تتمثل معانى « الوعى الباطن » رموزاً جسدية ، لأن الإنسان لا يتمثل المعانى فى أحلامه وأمانيه بل يتمثل فيها ما يرى بالعين ويلمس باليد ويسمع بالأذن ويترجم من لغة الفكر إلى لغة الحواس على أسلوب الخيال المعروف .

فما هو إلا أن راجت كلمة « الوعى الباطن » ورموزه فى الإصلاح وخيالات الفنون حتى تلقفها أذناب المدرسة الرمزية كما تلقف الببغاوات صيحات الآدميين بغير فهم ولا روية ، وخيل إليهم أن « الوعى الباطن » خلق جديد أنبته « فرويد » فى بيئة الإنسان بعد أن كان معدوماً فى الأجيال الماضية ، وفاتهم أنه أقدم من الوعى الظاهر وأنه لم يزل يعمل عمله فى الآداب والفنون وفى المعيشة اليومية منذ عرف الناس الشعور والتفكير ، ولن يزال كذلك خفياً فى مكانه القديم ما دام الإنسان هو الإنسان ، وكل ما صنعه فرويد أنه نبه الأذهان إلى وجوده لا أنه أوجده من العدم فى الزمن الحديث .

وبعد أن كان الرمزيون لا يتجاوزون فى دعوتهم التذكير بوجود الأسرار والمعانى التى توحى إليها أصبح أولئك الببغاوات ينكرون الحس الظاهر وينكرون الحواس وعملها ولا يدينون بشيء غير ما يسمونه رموز الوعى الباطن وأحاجيه .

فبطل الوضوح عندهم كأنه نقيصة أو كأنه خروج على الحقيقة ، وتقررت التعمية عندهم كأنها هى البيان دون كل بيان ، وكأنما « الوعى الباطن » قد كشف فى الزمن الأخير ليلغى العيون والآذان ويغرق الناس فى ظلمات لا تدركهم فيها أنوار النهار .

ومن آفات فرنسا الولع بالأزياء والمدارس التى كأنها أزياء تخلع بين كل صيف وشتاء ، فما هو إلا أن يسمع فيها باسم الدعوة الجديدة حتى تقفوها مدرسة هنا ومدرسة هناك ، وحتى تتقاسمها الفنون المختلفة فيبشر بها المصورون والنحاتون كما يبشر بها الشعراء والكتاب ، وينتقل الأمر من حيز التفكير إلى حيز الصفقات والمساومات . فيأخذ المتجرون بالصور فى جمع اللوحات التى يبيعها إياهم فقراء الفنانين بدريهمات معدودات ، ويحتفظون بها حتى يحين الأوان لإبرازها والمتاجرة بها ، فإذا بمجلة من المجلات التى يملكها أولئك التجار أو يستأجرونها قد نشرت فصلا مطولا عن «المدرسة الجديدة» المزعومة وتلتها مجلة أخرى تناقضها وتنحى عليها ، وإذا بالمدرسة الجديدة بعد هنيهة قد أصبحت فى دوائر الفن أحدوثة الفضوليين والأملاء ، ومحور الهجوم والدفاع ، ويحضر إلى باريس فى هذه الآونة أناس من أصحاب الثروات الأمريكية أو أصحاب الألقاب الروسية العريقة ممن يصطنعون الوجاهة ويفاخرون باقتناء التحف النادرة ، ويودون أن يرجعوا إلى بلادهم وفى جعابهم أحدث ما يتحدث به أصحاب الأذواق وأدعياء التنطس فى الثقافة والآداب الفنية ، فإذا بهم قد وقعوا فى الفخ المنصوب واستبضعوا اللوحات والتماثيل من تلفيقات تلك المدرسة الجديدة بألوف الجنيهات ، وهى كلها لا تساوى مئات الدراهم عند بائعيها الماكرين .

وهكذا تخرج إلى الدنيا « مدرسة جديدة » ، وتبقى فيها ما بقيت صالحة لتلك الصفقات الخادعة ، ثم تنطوى وتخلفها

دواليك مدرسة أخرى على هذه الوتيرة ، ولا تعقب بعدها أثراً من الآثار الباقية فى عالم البلاغة والجمال .

وقد راجت الرمزية فى الكتابة والشعر، كما راجت فى النحت والتصوير ، وشوهدت صور لبعض الناس لا يعرفها أصحابها ، ولا يتفق اثنان من المصورين أنفسهم على عرفان ملامحها أو تفسير الغرض منها . وسئل واحد من هؤلاء المصورين عما يعنيه بهذا الخلط الذريع ، فقال بلهجة هؤلاء المخرقين التى هى مزيج من لغة الدجالين والببغاوات : إن الكتاب الإنجليزى يقع فى يد الرجل الذى لا يفهم الإنجليزية فلا يبصر فيه إلا خليطاً مشوشاً من الخطوط والنقاط...فهل يفهم من ذلك أنه كذلك ، وأنه لا يشتمل على معنى من المعانى التى يدركها الإنجليزى ، أو من يفقهون اللغة الانجليزية ؟

وهذا كلام دجالين وببغاوات لا يفهمون ما يقولون ، لأن الناس لا يختلفون فى رؤية الشمس كما يختلفون فى فهم مئات الكلمات التى تدل عليها باللغات الإنسانية ، ولأنهم لا يختلفون بالعيون والآذان والأفواه كما يختلفون بالألسنة والعبارات ، وليس بين الرجل وبين مشابهة الإنجليزى فى قراءة كتابة إلا أن يدرس الإنجليزية فينفذ إلى ماوراء الخطوط والنقاط من الألفاظ ومعانيها ، فما هى الأداة التى يستعين بها الإنسان على فهم الصور التى لا تشبه أصحابها ؟ أهى أداة الوعى الباطن ، وهو لا يتماثل فى رجلين اثنين على نحو واحد ؟ أيصبح كل إنسان « فنا » وحده لأنه وحده صاحب الوعى الباطن الذى توارثه من آبائه وأجداده وأضاف إليه ما أضاف من مذكوراته ومنسياته ؟

وكل مدرسة من هذا القبيل فهى مدرسة بكماء لا تستطيع أن تشرح مذهبها للناس إلا بمزيج من كلام الببغاوات وكلام الدجالين .

لكن الوعى الباطن حقيقة لا شك فيها ، وهو كذلك حقيقة لا شك فيها ، ولكنه كان حقيقة لا شك فيها من أقدم عهود المثالين والمصورين والشعراء فى التاريخ ، وقد عمل فى شعر هوميروس عمله البديعى ، كما عمله فى شعر المتنبى والشريف وبيرون ولامرتين ، وإنما كان يعمل عمله دون أن يلغى العيون والآذان ، ودون أن يلغى الأذواق والأذهان ، وعلى هذا ينبغى أن يمضى فى عمله سواء ظهر فرويد أو لم يظهر فى عالم الوجود ، لأن فرويد لم يخلقه فى طبائع الناس حتى يخلفه خلق جديد لم يكن معلوماً قبل مئات السنين ، فقصارى ما فى الأمر أنه سماه وفسر معناه ، وترك العيون تنظر كما كانت تنظر ، والآذان تسمع كما كانت تسمع ، والأجسام البشرية تغدو وتروح كما كانت تغدو وتروح .

فالرمزية سليمة فى حدودها الأولى ، وهى حدود الاعتراف بالخفايا والأسرار ، ولكنها دعوة مريضة عوجاء حين تنكر الوضوح لأنه وضوح وكفى ، وتشيد بالتعمية لأنها تعمية وكفى .

وميزان الصدق فى هذا المذهب أن يكون الرمز ضرورة لا اختيار فيها . فأنت تفصح حتى يعييك الافصاح فتعمد إلى الرمز والإيحاء لتقريب المعنى البعيد لا لإبعاد المعنى القريب . والأصل فى الإبانة عن الذهن أو النفس أن يحاول المبين جهده توضيح معناه حتى تعييه العبارة فيلجأ إلى الإشارة ، فلا يكتب بالهيرغليفية ما يقدر على كتابته بالحروف الأبجدية ، ولا يؤثر الكناية وهو قادر على التصريح .

أما من يقول بنقيض ذلك فليس عنده فى الحقيقة ما يقول ، وإنما هو مزيج من الببغاوات والدجالين يلفظ بالكلام ولا يفقه معناه ، ويخلط الحق بالباطل على النحو الذى قدمناه .

عباس محمود العقاد

في عيـــد المعري

من حلب إلى دمشق

للدكتور عبد الوهاب عزام

عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

كان أعظم ما رأيت من آثار حلب ذلك اليومَ مقبرة الفردوس وكنت سمعت بها، وحرصت على رؤيتها في زورتي لحلب قبل ثماني سنين فأُعجلت عنها آسفاً.

وهي مقبرة نادرة بنيت على هندسة المساجد، أو مسجد اتخذت أروقته للقبور. يدخل داخلها إلى صحن شرقيّه وغربيّه رواقان في مستوى الصحن وفي جهة القبلة منه مسجد، وفي الجهة الشمالية عقد كبير فوق رواق مرتفع. والرواقان اللذان على جانبي الصحن بهما قبور أكثرها قديم وبعضها حديث. ويرى الداخل إلى المسجد ثلاث قباب: الوسطى وهي الكبرى تقوم فوق مصلى، وعلى جانبي هذه القبة قبتان أخريان تحت كل منهما حجرة كبيرة فيها قبور: فالبناء في جملته مقبرة مشيدة على هيئة مسجد ... وما رأيت فيما رأيت من الآثار الإسلامية مقبرة أخرى على هذه الشاكلة. وشماليّ هذا البناء حديقة ذابلة يشرف عليها رواق كبير خارجي وراء الرواق الداخلي الذي في شمالي الصحن. وعلى جوانب الصحن والمسجد كتابة كثيرة أعجلني ضيق الوقت عن قراءتها كلها. وهي آيات من القرآن وأبيات، وكلمات مأثورة.

وكان في عشية ذلك اليوم، يوم الخميس ١١ شوال، احتفال حلب بذكرى المعري، فاحتشد جمع عظيم في فناء المدرسة الثانوية وقد أخذت زينتها من الأعلام والمصابيح، وتكلم هناك من أدباء العربية: السيد طه الراوي، والدكتور طه حسين، والأستاذ عبد القادر المازني؛ وأدباء وشعراء آخرون وكان يوماً مشهوداً.

وأصبحنا نتأهب للمسير إلى اللاذقية وودّنا أن نفسح الوقت للتلبث في حلب. وفصلنا من مدينة سيف الدولة ضحوة الجمعة فضربنا صوب الغرب والجنوب في سهول خصبة فيها آثار الكدح والدأب حتى لاحت إدلب بيضاء بين أشجارها. وأكثرها أشجار الزيتون، وكانت سيّارتنا متقدمة فوقفت في ظاهر البلد ليلحق بنا الركب. ثم دخلنا المدينة فإذا حشد منظم من رجال الحكومة والمدرسين والطلبة يسرّ العين والقلب، والموسيقى تدوّى فتبث ألحانها في هذا الجمال فإذا هو كله موسيقى مؤتلفة، واستقبلتنا طالبات صغيرات ينشدن أناشيد للبلاد العربية كلها، ويقدّمن الأزهار إلى ضيوفهن. هنالك اجتمعت ذِكَر الماضي وصُوَر الحاضر وأمانيّ المستقبل، في أصوات هؤلاء الناشئات العربيات. فكان هذا ثقلاً على القلب فرع منه إلى العيون يستنجد دمعها فذكرت قول البحتري:

وقفة بالعقيق نطرح ثقلاً   من دموع بوقفة في العقيق

ورأيت أحد الأصدقاء من أدباء دمشق يغالب دمعه. وقد لقيني من بَعد فقال: تبيّن لي أنا لم نكن وحيدَين في الشجى، وأن غيرنا غلبته عبراته في هذا المقام. وما كانت هذه العَبرات إلا أمشاجاً من الفرح والحزن، والألم والأمل، والحماس والعطف. وما لا يُستطاع الإعراب عنه من أشجان غامضة، وعواطف مبهمة يجمعها كلها اضطراب النفس بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، واغتباطها وطربها بما ترى وتسمع وتتخيل.

ومررنا بين الجموع لنستأنف السير فقال لي أحد الشبان: أهذه رحلة أخرى يا أستاذ؟. قلت، وعيناي أفصح من لساني: أجل! رحلة جميلة جليلة أُلحقها برحلاتي الماضية.

إدلب مركز قضاء[1] سكانها زهاء عشرة آلاف. وهي معروفة بالزيتون والقطن والبطيخ. ولكثرة الزيت بها عرفت بصناعة الصابون حتى سُميت إدلب الصابون. كذلك أخبرني بعض الرفقاء من الشام.

وبعد مسيرنا عن إدلب علونا أرضاً جبليّة فسرنا في حدور وصعود حتى جئنا جسر الشُّغور. وهو قرية كبيرة عبرنا عندها جسراً على مجرى ماء، وشرعنا نصعد بعدها جبالاً عالية مخضرّة، وما زلنا صاعدين وهابطين حتى وقفنا عند أشجار باسقة ظليلة عندها مسيل ماء قليل ينصب في حوض، ويسمى قَسطَل المجوز. وكانت الساعة إذ ذاك اثنتي عشرة وربعاً. ويقول ياقوت: القسطل

(١) القضاء في التقسيم الادارى في الشام والعراق وتركيا كالمركز في تقسيم مصر. يتولى أموره قائمقام. هو كالمأمور في مصر.

بلغة أهل الشام الموضع الذى تغترف منه المياه ، وهناك استقبلنا وفد من الصحفيين قدم من اللاذقية . وكثرت على طريقنا أشجار الصنوبر . وما زالت الطريق تتمعج بنا على سفوح الجبال وفى الأودية . وكلما جزنا جبلاً لقينا أعلى منه وأروع ، حتى استقبلنا طريق صعود على سفح جبل شاهق ، وشفا واد هائل ، فلما شارفنا القمة وقفت السيارات بغتة ولما تبلغ مأمنها من القمة . قلنا ما الخطب ؟ فإذا سيارة تشتعل فيها النار ليست من سيارات الركب . فزع بعضنا لهذه الوقفة فى هذا المكان المخوف ، ولهذا الحريق المفاجىء فنزلوا من السيارات مسرعين إلى جانب الطريق . وبينما الأستاذ المازنى يتجنب هذا الخطر بعد أن نال منه الاعياء فى هذا السير الشاق تقدم إليه سائل يسأله عن مطلع قصيدة لأحد الشعراء ، فنال القصائد والشعراء ما نالهم من غضبة المازنى .

وبعد الكلال والملال وطول السؤال بلغنا مقصدنا حرش بابير . وهو حرج على قمة عالية مشرف على البحر يطلع السائر فيه على مناظر جليلة جميلة رائعة على السفح الغربى المفضى إلى الساحل ، وكان هناك موعدنا للغداء فى ضيافة الأديب العالم الأمير مصطفى الشهابى متصرف اللاذقية (أو متصرف جبل العلويين ، واللاذقية عاصمة الجبل) وقد نعمنا بالراحة بعد التعب ، والطعام بعد الجوع ، وأنسنا بجماعة من التركمان يزمرون ويطبلون ، وكانت جلسة فرحة مكافئة لما سبقها من تعب ، وما لحقها من مسير طويل .

ومشينا بعد الغداء قليلا نطل على جمال السفوح الغربية وجلالها وروعتها ويتمنى الشعر والخيال التلبث بها . ثم ركبنا فهبطنا حتى أفضينا إلى سهل خصب يكثر فيه شجر الزيتون . ولما انتهينا إلى الساحل سايرناه شطر الجنوب حتى بلغنا بشق الأنفس المدينة التى نؤمها ، وقد رددنا اسمها على الطريق فى شعر المتنبى وغيره . كقول أبى الطيب ، غفر الله غلوه .

لك الخير غيرى رام من غيرك الغنى   وغيرى بغير اللاذقية لاحق
هى الغرض الأقصى ورؤيتك المنى   ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

وبلغنا المدينة قبيل الغروب فأسرع بنا النقيب إلى الفندق الذى أعد لنزولنا ولحفلة المعرى فندق الكازينو ، وهو مشرف على البحر ، متصل بأمواجه .

وكانت حفلة أبى العلاء فى فناء الفندق بعد الغروب فغص المكان بالمستمعين ، وتكلم فى أبى العلاء أساتذة من مصر والشام ، وأنشدت قصائد تشيد بشاعر العرب الفيلسوف . ثم كان العشاء والسمر فى الحديقة من دار الأمير الشهابى فنسى الضيوف هناك ما لقوا من نصب النهار . وفاتتنى هذه المأدبة الا أخبارها ، إذ قعدنى الاعياء عن الخروج إليها ورحم الله ابن حمديس .

فإن ألك أخرجت من جنة   فإنى أحدث أخبارها

وأصبحنا نسير فى اللاذقية — وهى مدينة جميلة نظيفة يرجى لها فى مستقبل البلاد العربية شأن عظيم — إلى الشارع الذى سمى شارع أبى العلاء وهو شارع فى وسط المدينة ينتهى بعقد قديم من آثار الرومان فيما يُظن . سرنا إلى المكان فى موكب عظيم والموسيقى تدوى والهتاف بالبلاد العربية يعلو . وتقدم محافظ الاقليم الأمير مصطفى الشهابى فافتتح الشارع فسار الموكب فيه .

واللاذقية ، على نجد مشرف على البحر فيها كثير من أشجار الزيتون والتين والتوت وفيها بساتين كثيرة يسقيها النهر الكبير ولها مكانة فى التجارة وسكانها أكثر من عشرين ألفا .

وبرحنا اللاذقية والساعة عشر وعشر دقائق نسير صوب الجنوب مع ساحل البحر . وجاوزنا نهراً صغيراً يسمى نهر أبى على أخبرنى الرفقاء أنه ينحدر من جبل الأقرع ويسير إلى البحر ، وضربنا فى سهل واسع خصب يمتد بين الساحل وجبال العلويين . ورأينا جبلة على يسارنا فى شرقيها جامع ظاهر . وهى مركز قضاء جَبَلة وحولها بساتين وسكانها زهاء ستة آلاف .

وجبلة ذكرى الخطوب العظيمة التى انتابت بلاد الشام بأيدى الروم ثم الصليبيين . وكانت حين الفتح الإسلامى حصنا للروم فلما جلوا عنه بنى معاوية حصناً آخر وبلدة ، وينتسب إلى جبلة جماعة من العلماء .

وقاربنا الجبال فسايرناها زمناً بعيدين من الساحل ، ثم عاج بنا الطريق إلى البحر فمررنا ببلدة بانياس وقلعة المرقب ، وما زلنا فى طريقنا بين البحر والجبل نمر بقرى قليلة ونعبر جسوراً على مجارى مياه سائلة من الجبال إلى الساحل ، ونمر بأشجار من الزيتون ذ . الحين بعد الحين حتى بلغنا طرطوس والساعة إحدى عشرة

ونصف . فنزلنا إلى حديقة هناك صغيرة بجانب بناء كنيسة عتيقة سماها بعض الكتاب الأوربيين نوتردام دى طرطوس تشبيها لها بكنيسة نوتردام دي باريس . دخلنا البناء وهو معطل يحتاج إلى الترميم . وكان قد اتخذ مسجدا ووضع له منبر . ولا ريب أن أيدى المسلمين والصليبيين تداولته إبان الحروب الصليبية . وبعد زيارة هذا المسجد جلسنا إلى حوض فى الحديقة قليلاً ثم ركبنا بعد نصف ساعة من نزولنا .

ومررنا على مقربة من طرطوس بخرائب عمريت . وكانت من مدن الفينيقيين الكبيرة ، وبجزيرة أرواد المعروفة فى التاريخ .

ثم تركنا البحر وطريق الساحل المؤدى نحو طرابلس بين جبال لبنان والماء ، وعطفنا ذات الشمال ، فضربنا فى إقليم جبلى حتى لاح لنا عن يسارنا بعيداً حصن الأكراد منيفاً على الجبل ، يتميز عن القمم ببياضه وارتفاعه . وهو حصن كبير قديم ، شارك فى خطوب الحروب الصليبية زمناً طويلاً . ويقول ياقوت :

« هو حصن منيع حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب » . وقال : « وملكه الفرنج وهو لا يزال فى أيديهم إلى هذه الغاية ، وبينه وبين حمص يوم . ولا يستطيع صاحبها انتزاعه من أيديهم . »

ثم سايرنا النهر الكبير الذى يسير حيناً مع حدود لبنان . وسألنا هناك كم بيننا وبين حمص ، فقيل : أربعون كيلا . وجاوزنا بعد قليل تل كلخ ، وهى قرية صغيرة على سكة الحديد بين حمص وطرابلس .

والآن نطوى الطريق قراه ومزارعه لنستقبل جنات العاصى الناضرة تحيّى القادم إلى حمص وتبشره بدخولها .

ودخلنا حمص نضّرها الله والساعة اثنتان من المساء .

فبدأنا بزيارة الزعيم الكبير السيد هاشم الأتاسى ، رئيس الجمهورية قبلاً . وكانت رؤيته بلوغ أمل قديم . فنعمنا بالحديث معه فى داره على قدر ما وسع الوقت الضيق . ثم خرجنا إلى الروضة ، إحدى حدائق حمص العامة ، وكان فى ظلال الشجر أخذنا بأطراف الحديث ، ثم اجتماعنا على المائدة .

وتكلم هناك الأستاذ عارف النكدى ، وتلوته بكلمة . وكان لا بد لى أن أتكلم فى حمص إعراباً عما جاش فى نفسى من ذكر الماضى والحاضر حين دخلتها ، ومما قلت :

« يملأ نفسى إعجاباً وروعة وفخاراً ، أن أقف على مقربة من أعظم تمثال للبطولة المجاهدة المخلصة المطيعة ، ضريح خالد بن الوليد رضى الله عنه ...

يا قومنا ، إن الفرصة قد سنحت ، والزمان ضنين بفرصه ، والفرص سريع مرورها ، فاحذروا أن تناموا والخطوب يقظى ، أو تبطئوا والزمان يسرع ، أو تقفوا والفلك يدور ، أو تهزلوا والزمان يجد . ألا إن تكاليف المجد شاقة ، ومطالبه صعبة ، وغاياته بعيدة ، ولكن فى ضمان العزائم المجتمعة ، وفى كفالة النفوس الأبية تذليل الشاق ، وتيسير الصعب ، وتقريب البعيد . فأجمعوا أمركم ، واجمعوا كلمتكم . وتقدموا إلى العمل بقلوب ملؤها الرجاء والأمل ، ورؤوس ملؤها الحكمة والروية ، وأيد ملؤها النشاط والقوة ... الخ الخ

وفصلنا من حمص والساعة أربع وثلث راجعين أدراجنا إلى دمشق الحبيبة .

وكان فى دمشق ختام عيد أبى العلاء يوم الأحد رابع عشر شوال من سنة أربع وستين وثلثمائة وألف (أول تشرين الأول سنة ١٩٤٤)

عبد الوهاب عزام

محمد بن عبد الملك الزيات

للأستاذ عبد اللطيف ثابت

(تتمة ما نشر في العدد ٦١٢)

وكما يسرف محمد بن عبد الملك في الظلم والقسوة ، فلا يكاد يقع تحت يده مأخوذ بجريرة حتى يعاقبه أشد العقاب ، وينتقم منه أقسى الانتقام ، ناسياً أن الله بالمرصاد لكل ظالم قاس ، وأن الزمن يومان يوم له ويوم عليه — يسرف كذلك في انتقاد الشعراء والكتاب ، يدفعه إلى هذا غلوه في اعتزازه بنفسه ، وثقته بعلمه وأدبه ، ناسياً أن له عيوباً ومثالب شأن كل إنسان ، فاذا لم يرفق بمن يتقدمهم فليس يرفق به منقدوه .

كتب عبد الله بن الحسن الأصبهاني وهو على ديوان الرسائل إلى خالد بن يزيد « ان المتضم ينفخ منك في غير فحم ، ويخاطب امرأً غير ذي فهم » فلما وقف عليه محمد بن عبد الملك قال : « هذا كلام ساقط سخيف ، جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق كأنه حداد » .

ثم كان أن كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر يقول : « وأنت تجرى أمرك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسمى بنقصان ، ولا تميل برجحان » . فقال عبد الله الأصبهاني : « الحمد لله قد أظهر من سخافة اللفظ مادل على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السلع ورجحان الميزان ونقصان الكيل والخسران من رأس المال » . فلم يلبث الأصفهاني أن انتصف منه ، وقد حقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه .

وذكر يحيى بن خاقان فانتقصه ، وقال عنه : هو مهزول الألفاظ ، عليل المعانى ، سخيف العقل ، ضعيف العقدة ، واهى العزم ، مأفون الرأى . وهذا نقد ، ولكنه ليس على الصورة التى ينبغى أن يكون عليها النقد . وهو ناقد ولكنه فى الواقع لاينقد ، وإنما يسخر سخرية من يرى الناس دونه ، ويتهكم تهكماً لاذعاً لا ترتاب فى أن باعثه الحقد على من يرى لهم فى سماء المجد الأدبى منطوعاً ، كما يحقد على من تعلو درجاتهم فى الحياة فيماثلونه فى دولته أو يقاربونه . ولم يكن على رغم سلطانه وقوته بنجوة من التهكم به كما يتهكم ، أو السخرية كما يسخر ، ولعل أشد من تهكموا به وسخروا منه فى جرأة المغيظ المحنق ابراهيم الصولى الذى يقول له :

أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة ... وقصر قليلا عن مدى غلوائكا
لئن كان هذا اليوم يوماً حويته ... فإن رجائى فى غد كرجائكا

ويقول فيه :

قلت لها حين أكثرت عذلى ... ويحك أزرت بنا المروءات
قالت فأين السراة قلت لها ... لا تسألى عنهمو فقد ماتوا
قالت ولم ذاك قلت لها ... هـــذا وزير الإمام زيات

ويقول له :

فإن تكن الدنيا أنالتـــك ثروة ... فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الإثراء منـــك خلائقا ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

ويقول فيه :

من يشترى منى إخاء محمد ... أم من يريد إخاءه مجـــانا
أم من يخلص من إخاء محمد ... وله منـــاه كائنا ما كانا

ونظن أن محمد بن عبد الملك الذى يقول : « الرحمة خور فى الطبيعة وضعف فى المنة » ويقول : « ما رحمت شيئا قط » والذى يكثر أعداؤه وحساده ، حتى يضيق بهم ويضيقوا به ، وينال منهم وينالوا منه — تظن أن هذا الرجل لا يعرف قلبه الرفق ولا اللين ولا يحس نفسه شيئا من الأحاسيس التى تحمل على الرقة وتدفع إلى العطف ، وتلفت العقل إلى ما لا يهنأ العيش به ، ولا تجمل الحياة إلا بطلبه ، ولعلك تستبعد أن يكون منه ما يكون من ذوى القلوب الرقيقة فيواد أو يتعشق أو يتنادر ، فلا تنس أنه شاعر فهو فى الواقع يجمع بين جفاء الحاكم القاسى القلب ، ورقة الشاعر الذى يحس بما فى الحياة من لذة وألم ، وعرف ونكر .

اعتل الحسن بن وهب كاتبه ، فتأخر عنه أياماً كثيرة لا يأتيه رسوله ولا يتعرف خبره ، فكتب إليه الحسن :

أيهـــذا الوزير أيدك اللـ ... ـه وأبقـــاك لى بقاء طويلا
أجيـــلا تراه يا أكرم النا ... س لكنما أراه أيضا جيـــلا
إننى قد أقمت عشرا عليـــلا ... ما ترى مرسـلا إلى رسولا

إلى آخر أبيات رقيقة تضمنت عتبا رقيقا فأجابه محمد :

دفع الله عنك نائبة الدهـ ـر وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وما ذا لك من العذر جائزا مقبولا
إننى أرتجى وإن لم يكن ما كان مما نقمت إلا جليلا
أن أكون الذى إذا أضمر الإخـ ـلاص لم يلتمس عليه كفيلا
فاجعلن لى حظ التعلق بالقد ر سبيلا إن لم أجد لى سبيلا
فقديما ما جاد بالصفح والعفـ ـو وما سامح الخليل الخليلا

واستقى منه الحسن نبيذاً وهو مع المعتصم ببلاد الروم فسقاه وكتب إليه :

لم تلق مثلى صاحبا أندى يداً وأعم جودا
يسقى النديم بقفرة لم يسق فيها الماء عودا
صفراء صافية كأ ن بكأسها دراً نضيدا
وأجود حين أجود لا حصراً بذاك ولا بليدا
وإذا استقل بشكرها أوجبت بالشكر المزيدا

وكتب إليه راشد الكاتب وقد عاد من الحج

لاتنس عهدى ولا مودتيه واشتق إلى طلعتى ورؤيتيه
فان تجاوزت ما أقول إلى العصب فذاك المأمول منك ليه

فأجابه محمد :

يا بأبى أنت ما نسيتك فى يوم دعائى ولا هديتيه
ناجيت بالذكر والدعاء لك الله لك الله رافعاً يديه
حتى إذا ما ظننت بالملك الـ قادر أن قد أجاب دعوتيه
قمت إلى موضع النعال وقد أقمت عشرين صاحبا معيه
وقلت لى صاحب أريد له نعلا ولو من جلود راحتيه
ثم تخيرت بعد ذاك من الـ عصب اليمانى بفضل خبرتيه
موشية لم أزل بائعها أرغب حتى زها على بيه

وعشق جارية من جوارى القيان ، فكان منه ما يكون من العشاق ذوى القلوب الرقيقة ثم بيعت الجارية لرجل من أهل خراسان وخرج بها ، فذهل عقل ابن الزيات حتى نشى عليه ، وفيها يقول :

ياطول ساعات ليل العاشق الدنف
وطول رعيته للنجم فى السدف
ماذا توارى ثيابى من أخى حرق كأنما الجسم منه دقة الألف
ما قال يا أسفا يعقوب من كمد إلا لطول الذى لاقى من الأسف
من سره أن يرى ميت الهوى دنفاً
فليستدل على الزيات وليقف

ويتمادى بدافع من التظرف فى التشبه بشعراء المجون من أبناء عصره فيظهر الوله بغلام رآه على فرس ، ويتنزل فيه على سنتهم ولا يأنف أن يذكر به ، بل هو يتمنى أن لو كان فارس ذا الفارس وتؤثر عنه أمثلة من التنادر ، تصور ما طبعت عليه نفسه من رقة وظرف فى بديهة حاضرة وخاطر سريع وإن ظهر فى بعضها متهكما ساخراً ، وهو يقدر ما يجابه به أو يكتب إليه من ظريف التنادر فيطرب ويضحك ، ويوقع فى جو الطرب والضحك بما يريد المتنادر ، بل قد يقربه إليه ويصطنعه .

فمن ذلك أنه جلس يوما للمظالم ، فلما انتهى المجلس ، رأى رجلا جالساً فسأله ألك حاجة ؟ قال نعم ، أدننى إليك فإننى مظلوم وقد أعوزنى الإنصاف . قال ومن ظلمك ؟ قال أنت ، ولست أصل اليك فأذكر لك حاجتى . قال ومن يحجبك عنى ؟ قال يحجبنى عنك هيبتى لك ، وطول لسانك ، وفصاحة قولك ، واطراد حجتك . قال ففيم ظلمتك ؟ قال أخذ وكيلك ضيعتى الفلانية غصباً ، فإذا وجب عليها خراج أديته باسمى لئلا يثبت لك ملكها ، فوكيلك يأخذ الغلة وأنا أؤدى الخراج ، فهل سمعت بمثل هذا فى الظلم ؟ فقال محمد قولك هذا تحتاج عليه إلى بينة وشهود وأشياء ، فقال له الرجل أيؤمننى الوزير حتى أجيب ؟ قال نعم أنت آمن . قال البينة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شىء ، فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء ؟ إيش هذه الأشياء إلا العى والتغطرش ! فضحك وقال صدقت ، والبلاء موكل بالمنطق ، وإنى لأرى فيك مصطنعا ، ثم وقع له برد ضيعته .

ومن ذلك أن أبا دهمان المغنى سرق منه منديلا دبيقيا ، وأخفاه تحت عمامته ، وبلغه فقال .

ونديم سارق خاتلنى وهو عندى غير مذموم الخلق
ضاعف الكور على هامته وطوى منديلنا طى الخرق
يا أبا دهمان لو جاملتنا لكفيناك مؤونات السرق

على هامش النقد

المدينتـــان

١ — دمشق : للأستاذ محمد كرد على
٢ — بغداد : للأستاذ طه الراوى

للأستاذ سيد قطب

أحببت أن أجمع بين هذين الكتابين فى مقال ؛ لأن جميع الأسباب توحى بهذا الجمع . فكلتا المدينتين حاضرة خلافة إسلامية فى القديم ودولة عربية فى الحديث . وكلتاهما كانت مقر نهضة ثقافية ومهبط حضارة إسلامية فى التاريخ ، كما أن كلتيهما اليوم تتطلعان إلى فجر جديد . ثم اتفق أن يكون الكتابان حلقتين فى سلسلة « اقرأ » وأن يكتبها كاتبان عربيان متعاصران ، وأن يسلكا فيهما نهجا واحداً فى التأليف على وجه التقريب !

وقبل أن أحكم على هذا النهج ، أحب أن أطلع القارىء عليه كى يشترك معى فى الحكم الأخير :

من عنوانات الكتابين التالية يتضح هذا النهج بعض الوضوح . فهذا كتاب دمشق يبدأ هكذا ويسير :

« دمشق وطبيعتها » ثم « تاريخ دمشق السياسى : تاريخ دمشق القديم . دمشق قبل الفتح العربى . دمشق فى الإسلام . دمشق فى عهد العباسيين . دمشق فى عهد ملوك الطوائف . دمشق فى عهد السلجوقيين . دمشق على عهد الدولتين النورية والصلاحية . دمشق على عهد المماليك . دمشق فى عهد الدولة العثمانية . دمشق فى العهد الأخير » .

فإذا انتهى التاريخ السياسى على هذا النحو بدأ « التاريخ العمرانى » على النحو نفسه متتابعاً من التاريخ القديم إلى الحديث. حتى إذا انتهى من تاريخ عمارتها ابتدأ « وصف القدماء والمحدثين لدمشق » . فإذا انتهى هذا الوصف بالترتيب الزمنى تحدث عن « سكان دمشق وخصائصهم » . حتى إذا انتهى هذا الفصل تحدث عن « الحياة الأدبية والفنية والصناعية » فى تدرجها حتى العهد الأخير مع تقسيم هذه « الحياة » إلى أقسام كل منها له بدء

ومن ذلك أن آفة لحقت غلات أهل البت من جراد وعطش فكلمه جماعة منهم ، فوجه ببعض أصحابه ناظراً فى أمرهم ، وكان فى بصره ضعف ، فكتب إليه محمد بن على البتى .

أتيت أمراً يا أبا جعفر لم يأته بر ولا فاجر
أغثت أهل البت إذ أهلكوا بنـــاظر ليس له ناظر

فبلغه فضحك ورد الناظر ووقع لهم بما سألوا بغير نظر . ولم يكن محمد بن عبد الملك مع هذا مؤثرا موادة منافسيه ولا محسنا مصانعتهم ، اعتمادا على أنه أعظم معاصريه شأنا وأخبرهم بتدبير الأمر فلا يسهل على الخلفاء أن يجدوا عنه عوضا ، ولكن أعداءه وهم كثيرون وعلى رأسهم القاضى أحمد بن أبى دؤاد أخذوا يكيدون له ، ويوغرون عليه صدر الخليفة الواثق هرون الذى كان عليه ساخطا فى أيام والده المعتصم ، حتى لقد حلف يمينا مغلظة أنه ينكبه إذا صار الأمر إليه ثم يتولى الخلافة الواثق ، فيستقبله ابن الزيات ببيتين هما من قوله فى رثاء المعتصم .

قد قلت إذ غيبوك وانصرفوا فى خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقـــدت مثلك إلا بمثل هرون

ويأمر الواثق الكتاب أن يكتبوا مايتعلق بأمر البيعة ، فلا يأتى على ما فى نفس الواثق فى هذا الأمر إلا ابن الزيات فيرضى عنه ، ويقره على ما كان فى أيام المعتصم ، ويكفر عن يمينه . ثم يتولى المتوكل الخلافة متسخطا على ابن الزيات ، لأنه كان يتجهمه حين يدخل عليه فى أيام الواثق ، ويغلظ له القول يتقرب بذلك إلى قلب الواثق ، ولأنه أشار بتولية ولد الواثق دون المتوكل ، ويجد القاضى أحمد بن دؤاد فى إغرائه به ، فيجد لذلك عنده موقعاً . ويجيبه بعد أربعين يوماً من توليه الخلافة فيقبض عليه ، ويقيده بما زنته خمسة عشر رطلا من الحديد ، ويأمر بإدخاله فى التنور الذى كثر ما عذب فيه معاقبيه فى غير رحمة ، ثم يراجع المتوكل الرأى فيه ، ويرق له فيأمر بإخراجه ، ويبادرون إليه فيجدونه قد مات .

عبد اللطيف ثابت

ونهاية حسب التدرج التاريخي « فالعلم والأدب لها فصل منفرد و « الفنون الجميلة » لها فصل كذلك ومثلها : «صناعات دمشق » و « تجارة دمشق » . ثم يفرد المؤلف فصلا عن « غوطة دمشق » لأن لهذه « القرطة » شأنا خاصاً وفى هتافات الشعراء بنوع خاص .

أما كتاب بغداد فتسير عنواناته على النحو التالى :

« بغداد » ويشمل بحثا عن معنى الكلمة وتاريخها . « خبر بنائها . سبب الإختيار . البدء بالبناء » ثم « شذرات من سجايا البغداديين وشمائلهم » ثم « شذور من أقوال أهل الفضل فيها نظما ونثرا » . ثم « خلاصة التاريخ السياسي لبغداد » مقسما إلى ثلاثة أبواب لكل باب فصول تتمشى مع تمشى الزمن إلى اليوم . ثم تاريخ عمارة بغداد ويسميه المؤلف « الخطط والآثار » فإذا انتهى من تعدادها وبيان أماكنها تحدث عن « الحياة العقلية » مقسمة إلى « العلوم الشرعية » و « العلوم الكونية » و « العلوم اللسانية » مع فصل كل منها عن الأخرى وتتبع خطواته . ثم إذا انتهى تحدث عن « الشعر والشعراء » فى عجلة واختصار .

* * *

هو نهج واحد سار عليه المؤلفان ، الاختلاف فيه هو اختلاف الأداء واختلاف المستوى . ولكنه ليس اختلاف النهج ولا اختلاف الطريق .

وهو نهج لا نوافق عليه فى الكتابة عن « المدن » فى هذا الزمان . وإن لم ننكر ما يفيد منه القارىء المجلان من بعض « المعلومات » .

أقول « المعلومات » وهى كل مايضطلع هذا النهج بتقديمه للقارىء . ولكنها معلومات مبعثرة بعثرة هذه العنوانات التى أسلفتها . مسوقة بطريقة بدائية فى التأليف إذا قبلناها من مثل صاحب « تاريخ بغداد » و « خطط المقريزى » و « تاريخ ابن الأثير » وسواهم فى الزمن القديم ، فلسنا نقبلها من مؤلف عربى فى القرن العشرين ؛ نتطلب منه أن يخطو خطوة وراء « المعلومات » المتناثرة . خطوة التنسيق الفنى . وخطوة « التشخيص » والإحياء .

أقول « التشخيص » وهو أفضل مناهج الكتابة عن « المدن » فى هذا الأوان ...

فالمدينة يجب أن يكتب عنها كما يكتب عن « الشخص » الحى ، والشخص الحى وحدة تنمو كاملة بمرور الأيام ، ولا تنمو أجزاء وتفاريق . لاينمو جسم « الشخص » الحى وحده ، وينمو عقله وحده ، وتنمو نفسه وحدها . وإذا تحدثنا عنه فلسنا نبدأ بنموه الجسمى فنتحدث عنه من مولده إلى وفاته . ثم نكر راجعين إلى عقله من البدء للنهاية . ثم نكر للمرة الثالثة إلى نفسه على التوالى . إنما نحن نتناول مراحل حياته فنسجل مظاهر النمو فى كل قواه التى لاتنفصل ولا تتجزأ ؛ والتى يموت الكائن الحى فيه إذا نحن فصلناها وجزأناها !

وتاريخ حياة « المدن » كتاريخ حياة « الأشخاص » لا ينفصل فيه النمو السياسى عن النمو العمرانى عن النمو العقلى عن النمو الفنى . إنما يسير هذا كله وحدة لاتتجزأ فى المرحلة الواحدة ، وتسير المراحل المتتالية متواصلة كالأمشاج ، متفاعلة كالعناصر المختلفة فى المزاج .

يجب أن تطالعنى « دمشق » أو تطالعنى « بغداد » بنية حية ؛ تبدأ صغيرة ، ثم تنمو وتنمو ، ثم تتعاقب عليها الأحداث فتترك آثارها فى هذه البنية الحية ، التى لاتنفصل ذراتها لأنها لاتزال على قيد الحياة .

يجب أن يجتهد المؤلف فى « إحياء » هذه المدينة ، حتى تبرز لى شخصية متماسكة حية تعاطفنى ؛ وأعاطفها ؛ وحتى أساير خطاها فى الزمان بقلب جياش يطلع منها على ضمير منفعل ، وحركة مثيرة ؛ أو على حس خامد وغفوة هامدة ، أو على صراع مع الأحداث والأيام ، تواجهه بقلب الكائن الحى ، الذى يضطرب وينبض للأحداث والأيام .

فأين هذا كله من كتابى « دمشق » و « بغداد » ؟

* * *

تبقى الموازنة بين الكتابين فى دائرتهما المتواضعة ! وكثيرون من الناس يشفقون من الموازنة بين الأحياء ؛ وينصحون لى بالكف عن هذه الموازنات التى تثير الغيرة والخصومات !

وأنا لا أومن بهذه النصائح التى تنشأ من « تقاليد الصالونات » تلك التقاليد الناعمة الرقيقة ، التى لا يمكن أن تبرأ من الجبن والنفاق . فى الوقت الذى تبرأ من أعظم عناصر الحيوية ، الحسم والحماسة !

كتاب « دمشق » أوسع وأغنى من كتاب « بغداد » والتماسك بين مباحثه المتفرقة أدق وأعمق . ونفَس المؤلف فيه أقوى وأطول . وقد عرف المؤلف حدود المجال الذى يضطرب فيه فلم يزج بنفسه فى مباحث « كبيرة » لم يتهيأ لها فى هذه الحدود .

مثال ذلك ما زجّ بنفسه فيه مؤلف كتاب « بغداد » من الحديث عن خصائص الشعر البغدادى . ذلك الموضوع الخطار الذى يحتاج الحديث عنه إلى فطرة موهوبة ، وإلى بحث كذلك عميق . فلم يزد فيه على الملخصات المدرسية المعروفة . من ذلك قوله :

« والناقد البصير مضطر إلى الاعتراف بما لشعراء بغداد النابتين فيها والطارئين عليها من الفضل على الشعر فى تنويع أغراضه ، وابتكار البارع من معانيه وأخيلته ، ونشر الآراء الحرة والمذاهب الجديدة ، والبراعة فى رسم الصور المبتكرة فى الأوصاف وغيرها . كأنه عليهم تقع تبعة إذاعة الزندقة والتشكيك فى العقائد ، والاسترسال وراء الأهواء . وهم أول من فتح باب الغزل فى المذكر ، أو — على الأقل — هم أول من وسع هذا الباب ، وأغرقوا فيه أيما إغراق . كما أنهم أول من وسع باب المجون وغالوا فيه غلواً تستنكره الطباع السليمة والنفوس المستقيمة ، ولم يكترثوا لما يتقيد به المؤمنون من كرائم الخلال ، ومحامد الخصال وأكثر المندفعين فى هذه المسالك من الموالى الذين لم يملأ الإيمان صدورهم ، ولا ارتاحت إلى الدين عقولهم من أمثال بشار بن برد وحماد عجرد وحسين بن الضحاك وأبى دلامة ... الخ »

ثم يجمل ما جدّ من الشعر ببغداد فى نقط كالنقط المدرسية فى مذكرات التلاميذ :

« ١ — الركون إلى الأنيس من الألفاظ وهجر الغريب الحوشى .

٢ — الإكثار من الألفاظ الدخيلة ولاسيما الدالة على أنواع الخمور وضروب الأزهار وأصناف الأطعمة .

٣ — استعمال مصطلحات العلوم التى كثرت فى هذا العصر .

٤ — الاهتمام بالمحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية كالجناس والتورية ورد العجز على الصدر والطباق . وأكثر الشعراء ولعاً بهذه المحسنات مسلم بن الوليد وأبو تمام وعبد الله بن المعتز

٥ — الميل إلى سلامة التراكيب وانسجامها مع الاحتفاظ بجزالة الأسلوب وظهور المعنى » .

وعلى النسق نفسه يسرد ماجدّ فى « معانى الشعر وأخيلته » وماجد فى « أغراضه وفنونه » :

وأعتقد أن الكتابة على هذا النحو لا تصلح لغير التلاميذ .

***

وبعد ففى الكتابين كما قلت « معلومات » مفيدة فى اختصار ينفع التزود العجلان . ولكن هذه المعلومات كان يمكن أن تستحيل لبنات متماسكة فى بناء الكتابين لو سار المؤلفان الفاضلان على منهج « التشخيص » والإحياء الذى أسلفنا بيان خصائصه .

وإذا كان للنقد وظيفة فليست وظيفته هى تغيير طبائع المؤلفين المخلوقة ، ولا زيادة طاقاتهم المحدودة ؛ ولكن وظيفته أن يوجه الأنظار إلى المنهاج الأقوم ليسلكه من يملك الطبيعة ، ومن يطيق السلوك فيه .

سيد قطب

١٣ـ القضايا الكبرى في الإسلام

قتل مالك بن نويرة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

كان مالك بن نُوَيْرَةَ التميمي اليربوعي شاعراً شريفاً، معدوداً في فرسان بني يربوع في الجاهلية وأشرافهم، وبلغ من أمره أنه كان يُضرب به المثل فيقال: مَرْعًى ولا كالسَّعْدَانِ، وماء ولا كَصَدَّاء، وفتى ولا كمالك. وبلغ من شرفه أنه كان يردف الملوك، وللردافة موضعان: أحدهما أن يردفه الملك على دابته في صيد أو غيره من مواضع الأنس. والموضع الثاني أنبل، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم، فينظر بين الناس بعده. ولكنه كان فيه خُيَلَاء، لما كان يرى من نبله وجماله.

وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن وفد عليه من العرب، فاستعمله على صدقات قومه بني يربوع، وقد مات صلى الله عليه وسلم وهو عامل على تلك الصدقات، فلما بلغه موته اضطرب فيها فلم يحمد أمره، وفرق ما في يده من إبل الصدقة، فكلمه الأقرع بن حابس والقعقاع بن معبد فقالا له: إن لهذا الأمر قائماً وطالباً، فلا تعجل بتفرقة ما في يدك. فقال:

أراني الله بالنعم المندى . ببرقة رحرحان وقد أرانى
تمشّى يا ابن عودة في تميم وصاحبك الأقيرع تلحيانى

يعني أم القعقاع، وهي معاذة بنت ضرار بن عمرو.

وقال أيضاً:

وقلت خذوا أموالكم غير خائف
ولا ناظر فيما يجيء من الغد
فإن قام بالأمر المخوّف قائم
منعنا وقلنا الدّينُ دينُ محمد

يعني أنهم لا يدينون إلا له، فإذا مات لا يدينون بعده لانتفاء أمر النبوة.

فلما فعل مالك ذلك في كثير من العرب الذين ارتدوا ومنعوا الزكاة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أرسل أبو بكر إليهم خالد بن الوليد وغيره في جيوش من المهاجرين والأنصار، وكان فيما أوصاهم: إذا نزلتم فأذّنوا وأقيموا، فإن أذّنَ القوم وأقاموا فكفوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة، ثم اقتلوا كل قتلة الحرق فما سواه، فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم، فإن هم أقروا بالزكاة فبلوا منهم، وإلا فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة.

وقد قصد خالد بن الوليد مالكاً بعد أن فرغ من أسد وغطفان وغَنِيّ، فلما علم مالك بقصده ندم وتحير في أمره، ففرق قومه في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع، فلما وصل خالد إلى مكانهم لم يجد فيه أحداً، فبعث السرايا وأمرهم برعاية وصية أبي بكر رضي الله عنه، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع وغيرهم؛ وقد اختلفت السرية فيهم، وكان أبو قتادة رضي الله عنه فيمن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلوا، فلما اختلفوا فيهم أمر خالد بحبسهم، وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شيء، وجعلت تزداد برداً، فأمر خالد منادياً فنادى: أدفئوا أسراكم. وكان في لغة كنانة إذا قالوا: أدفأنا الرجل وأدفئوه، فذلك معنى اقتلوه، وفي لغة غيرهم: أدفئوه من الدفء. فظن القوم أنه يريد القتل، فقتلوهم على هذا الظن، وكان ضرار بن الأزور هو الذي قتل مالكاً، فخرج خالد وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وقد وقع خلاف بين القوم في قتلهم، وقال أبو قتادة لخالد: هذا عملك. وقد عاهد الله ألا يشهد حرباً بعدها أبداً.

وهناك رواية أخرى أراها أقرب من هذه الرواية، وهي أن خالداً راجع مالكا فيما فعله، فقال له مالك: إني آتي بالصلاة دون الزكاة. فقال له خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً، لا تقبل واحدة دون أخرى. فقال مالك: قد كان صاحبك يقول ذلك. ففهم خالد أنه يعني النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: وما تراه لك صاحباً، والله لقد هممت أن أضرب عنقك. ثم تجاولا بالكلام طويلا، فقال له خالد: إني قاتلك. فقال له مالك: أوبذلك أمرك صاحبك؟ فقال له خالد: وهذه بعد تلك،

والله لأقتلنك . ثم قدمه فضرب عنقه وعنق أصحابه ، وقد اختلفوا أيضاً في قتلهم على هذه الرواية ، ومن يؤاخذ خالداً يرى أن هذا ليس بصريح في الكفر ، لأن مثل هذا يمكن أن يعد من جفوة الأعراب ، ويجوز أن يكون قد عنى بصاحبه أبا بكر

وكان لمالك امرأة فائقة في الجمال ، تسمى أم تميم بنت المنهال ، فلما قتله خالد تزوج امرأته قبل أن يستبرئها ، ثم تركها حتى ينقضي طهرها ، فأكثر في ذلك القالة على نفسه ، حتى اتهمه أناس بأنه إنما قتله لأجل أن يخلفه عليها .

فلما قتل مالك قصد أخوه متمم بن نويرة أبا بكر ينشده دم أخيه ، ويطلب إليه في سبيهم ، وكان شاعراً جيد الشعر ، فلما وصل المدينة صلى مع أبي بكر الصبح ، ثم أنشد :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت تحت الإزار قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم قتلته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر : والله ما دعوته ولا قتلته . فقال :

لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر
ولنعم حشو الدرع أنت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنور

ثم بكى حتى سالت عينه ، ثم انحرط على سية قوسه مغشياً عليه ، ولما أفاق طلب من أبي بكر دم أخيه ، وأخذ يدافع عن قضيته بالشعر والنثر أحسن دفاع ، ومضى يطري أخاه ويذكر محاسنه ويرثيه حتى لفت أهل المدينة إليه ، وصار شعره حديث أنديتهم ومجالسهم ، ومن ذلك قصيدته المشهورة في الرثاء ، وهي معدودة من عيون المراثي :

لعمري وما دهري بتأبين مالك
ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ردائه(١)
فتى غير مبطان العشيات أروعا

وقد صلى يوماً الصبح مع عمر بن الخطاب ، فلما انفتل من صلاته سأل عنه فقيل إنه متمم بن نويرة ، فاستنشده قوله في أخيه ، فأنشده هذه القصيدة حتى بلغ إلى قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر : هذا والله التأبين ، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل مارثيت به أخاك .

وكان عمر رضي الله عنه من الذين رأوا مؤاخذة خالد بقتل مالك وتزوجه امرأته قبل استبرائها ، فذهب إلى أبي بكر وقال له : إن في سيف خالد رهقا ، وحق عليه أن يقيده . وأكثر عليه من ذلك .

فلما رأى أبو بكر ذلك كتب إلى خالد أن يقدم عليه ، فأقبل قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء ، وعليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة قد غرز فيها أسهما ، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع السهم من رأسه فحطمها ، ثم قال : أقتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك . فلم يكلمه خالد ، وظن أن رأى أبي بكر على رأى عمر فيه .

فلما دخل على أبي بكر سأله عما فعل ، فأخبره بما كان منه وذكر عذره فيه ، ثم شهد قوم من السرية أن مالكا وقومه أذنوا وأقاموا وصلوا ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء فقتلوا .

فرأى أبو بكر أن خالداً لا يعدو أمره أنه تأول فأخطأ ، وأن الشهود مع هذا مختلفون في شهادتهم ، والجناية في الشرائع الحديثة يكفي مثل هذا في سقوطها في حال السلم ، فما ظنك بحال الحرب ، فلا يصح أن يؤخذ خالد بالقود مع هذا وهو ذلك البطل الذي أبلى في حروب الردة أحسن البلاء ، حتى قضى على تلك الفتنة التي كادت تقضي على الإسلام في مهده ، وتعيد بلاد العرب إلى ما كانت عليه من وثنية مظلمة ، وفوضى هادمة مخربة ، وما كان مالك إلا ممن أغواهم الشيطان فأوقدوا نار تلك الفتنة في بلاد العرب ، فذهبت فيها نفوس كثيرة من المسلمين كانت دماؤهم أذكى من دم مالك ، وكانوا أكرم على الله منه ، وإذا صح أنه عاد إلى الإسلام فقد عاد إليه والسيف مصلت على

(١) المنهال : رجل من بني يربوع ، مر على أشلاء مالك لما قتله خالد ، فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه .

رأسه ، فهو إسلام محوط بالشك ، لا يصح أن يؤخذ فيه إسلام لم يجد الشك إليه سبيلا ، ولم تزعزعه الفتن كما زعزعته .

فلما نظر أبو بكر إلى ذلك كله حكم بعذر خالد فيما فعل ، وتجاوز له عما كان في تلك الحرب ، ولكنه عنفه على مبادرته بتزوج امرأة مالك قبل أن تمضي مدة استبرائها ، ثم قضى لمتمم ابن نويرة بدية أخيه من بيت المال ، وحكم له برد السبي .

فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر وعمر لا يزال جالساً بالمسجد ، فقال له خالد : هَلُمَّ إليَّ يا ابن أم شملة . فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه ودخل بيته .

وقد أصر عمر على رأيه في خالد حتى صارت إليه الخلافة ، فكان من أول ما بدأ به أن عزل خالداً من قيادة جيش الشام ، وولى مكانه أبا عبيدة بن الجرّاح ، ولا شك أن أبا بكر كان أدق نظراً في هذا من عمر ، وقد قال لعمر لما ألح عليه أن يعزله ، وقال له إن في سيفه لرهقا : لا يا عمر ، لم أكن لأشيمَ سيفاً سلّه الله على الكافرين .

فرحمك الله يا أبا بكر ، لقد عرفت أن مثل خالد من أبطال التاريخ إنما يحيا لأمته ، فلا يضيره أن يعزل من قيادة أو نحوها ، وإنما يضير ذلك أمته التي تحرم من حسن جهاده ، وتتعرض جيوشها للهلاك حين تفقد قائدها المدرب ، وبطلها الذي يقودها من نصر إلى نصر ، وما الأمة إلا بزعمائها ، وما الجيوش إلا بقادتها ، فلا يليق أبداً أن نغمط جهادهم بهنة من الهنات ، ولا يصح أن ننسى ماضيهم المجيد لزلة من الزلات ، فهم بشر مثلنا يصيبون ويخطئون ، فيجب أن يعذروا في خطئهم ، لأنه لا يقع منهم عن عمد ، والعصمة لله وحده .

عبد المتعال الصعيدي

كلمة لا بد منهـــا

للأستاذ علي الطنطاوي

ولقد كنت أود أن أجد من نشرها بدأً — غير أن ما تنشره صحف مصر ومجلاتها في موضوع الأدب الشامي والتعريف بأهله لمن نعرف ومن ننكر من الكتاب أوجب نشرها — وأنا أعرف قولهم (العبرة بما قيل لا بمن قال) ولكن ذلك في الحقائق التي يستقل العقل بتمحيصها ووزنها ، والحكم عليها بالصحة أو بالفساد ، أما الأخبار الممكنة التي تحتمل الصدق والكذب ، كقولنا : إن لفلان أسلوباً بارعاً ، وفلان بليغ ، وله كذا من الكتب ، لمن لم يسمع بفلان هذا ولم يقرأ له ، فلا يمكن الحكم عليها بالتصديق أو بالتكذيب ، وبالقبول أو بالرد ، إلا بعد معرفة حال راويها ومخبرها ، ومبلغه من الاطمئنان إلى خبره وحكمه ، فإن كان عدلاً ضابطاً ، والضبط في الأدب هو التمرس به والذوق فيه وفهمه ، والعدالة ألا يميل به حب ولا بغض ، وأن يحكم على الرجل بأثره ، فلا تمنعه عداوته مجوداً من الثناء عليه ، ولا صداقته مسيئاً من نقده .. فإن كان كذلك قبل خبره وإلا ردّه ، وأنا أقول آسفاً إن مجلات مصر لما فتحت صدرها لمن يعرف قراءها بالمجهول من أدب الشاميين ، جاءتها مقالات من أشخاص هم أكثرهم وكبير مطلبه أن يرى اسمه منشوراً في هذه المجلات ، ومنهم من لم يكد يضع من قبل سواداً في بياض ، فنشرت لهم كل الذي جاءها منهم وحكمتهم في رقاب الأدباء ، وجعلتهم من أهل الترجيح في الأدب ، فكتبوا أشياء لا يفهم منها الجاهل بأدبنا شيئاً ، ويضحك منها العارف به أو يشنعوا على صاحبها ، ومنها مايخرج في جملته وتفصيله عن أن يكون دعاية لمن كتبه ولأصحاب الكاتب وأصدقائه ، وحشراً لهم بين مشايخ الأدب والمقدمين فيه ، ثم كانت الطامة التي لا أقول إنها الكبرى لأني لا أدري ماذا يجيء من بعدها ، فنشرت مجلة محترمة مقالة في ذنبها اسم لم نسمع به ، خلط فيها صاحبها وخبط ، وانتهى به الخلط والخبط أن نحل رياسة الأدب في الشام رجلاً ليس منه في العير ولا النفير ، وليس منه في فرس ولا بعير . وأشهد لقد ضحكنا منها في مجالسنا كأشد ضحك ضحكناه

قط . ولكن القراء لم يضحكوا لأنهم لايعرفون من الأمر إلا أنه (كفّ عدس ...) ، ولأنهم يثقون بأن هذه المجلات لاتقدم لهم إلا حقاً ، ولا تنشر إلا لأديب أريب .

***

وأنا لا أنكر منافع (التشجيع) ولقد كتبت فيه وأثنيت على أهله[1] ، ولكن هذا التشجيع إذا بلغ هذا المبلغ صار أذى لمن يشجع ، وضرراً على الأدب وأهله ، لأن من يشجع على الادعاء والغرور والعدوان يؤذى ولا يبقى فيه مصطلح ، ويصدق أنه صار زبيباً وإن كان فى ذاته حصرماً حامضاً يلذع اللسان ويجرح الحلق، ويكون عند نفسه أستاذاً جليلاً ، وعلماً مشهوراً وهو عند الناس تلميذ صغير ... ولأن الأدب إذا كثر الأدعياء فيه والواغلون عليه ، وتصدر الجهلة مجالسه وامتهن العلماء الأبيناء هان الأدب وسقط . وهل فى الهوان أهون من أن يكتب (زيد) من الأدباء مائة مقالة ، يبذل فيها الغالى من عمره ومن قوته ، ومن دم قلبه وضياء عينيه ، بعد أن استعد لها بالدرس والتحصيل وسهر الليالى فى مدارسة كتب العلم ومطالعة أسفار الأدب ، وصرم فى ذلك الدهر الأطول فيأتى (عمرو) فيختصر الطريق ، ويقفز من فوق الجدران فلا يقرأ شيئاً ولا يكتبه ، ولكن يكتب مقالة يقول فيها عن نفسه : إن له مائة مقالة أو يسخر صديقاً له ليقول عنه إنه أحسن من (زيد) ذاك ، وأرسخ منه فى الأدب قدماً ، وأضخم منكباً، وأعلى هامة ، ويصدق ذلك القراء ويستوى عندهم الرجلان. أو هو يسنب العاملين بدلاً من أن يعمل ، وينقص أقدار الرجال ليزيد بما ينقص منهم ، ويعلو بما يظن أنه يحفض من منازلهم ...

... خبرونى بالله ان كنتم تعلمون ، كيف يكون التدجيل إن لم يكن هذا تدجيلاً ؟ !

* * *

أما إننى لا أدعو إلى احتكار الأدب وما فى سوق الأدب احتكار ، ولكن أدعو المجلات المصرية المحترمة أن تتريث فى نشر ما يحمله إليها البريد من مقالات النقد والتقريظ والكلام فى الأدب وأهله حتى تعرف الكاتب ، ومبلغ الثقة بخبره وحكمه ، ومكانته فى بلده ، وألا تدع أسماء الكبار من أدباء الأقطار العربية مضغة فى فم كل عبث بالشهرة ، يشتهى أن يكون كاتباً ولم يعدّ للأمر عدته

وأنا لا ألوم الشباب أن يستمرئوا التدجيل ويستسهلوا طريقه ، ويستصعبوا الجد والدأب ودخول البيوت من أبوابها . فهذا هو شأن الشباب ، وكلنا كان كذلك أو كان قريباً منه ، ولكنا لم نجد مجلات تعيننا عليه ووجدوها، وها أنذا قد دانيت الأربعين، وأظن أنى كتبت من الصحائف المنشورة ما يزن أرطالاً ، وإنى والله ما أبعث اليوم بمقالة إلى مجلة إلا مستحيياً منها ألا تكون للنشر صالحة ، وخائف أن تصير لقىّ ، أفلا يحق لنا أن نعجب من صفاقة أقوام من هؤلاء الكاتبين وأن نعتب على هذه المجلات المحترمة ، إذ تضع الشىء فى غير موضعه فتجود فى غير مجاد ، وما لكل ناشىء اليوم لا يرضى بأقل من الرسالة والثقافة فلا ينشر فيها غذرمته ... فقد كنا نتمنى جريدة يومية تنشرلنا فما كنا نصل، ونحن يومئذ أقلّ من أكثرهم اليوم جهلاً !

ولقد كنا سألنا مجلات مصر أن تنشر لأدبائنا وتعرّف بأدبنا وعتبنا عليها أنها لا تفعل ؛ ولكنا لم نرد إلا الأدباء حقاً[1] لا أن تنشر لكل من يسود صحيفة ويضعها فى ظرف ويبعث بها إلى المجلة ... ثم تحملُ ذلك علينا وتنسبه إلينا وتمثل به على أدبنا ، وتقبل حكم صاحبه علينا يرفع منا من يشاء وتخفض من يريد .

والسبيل لا سبيل سواها هى تكليف أحد أدبائنا المعروفين ممن لا يطعن على شخصه وإن خولف فى رأيه البحث فى أدب الشاميين بحثاً علمياً منظماً خالياً من أثر الحب والبغض، مؤيداً بالدليل مستنداً إلى التحليل فينظم أدوار هذا الأدب وطبقات أهله من جهة السن ، ومن جهة الأسلوب والبلاغة ، إذ رب شاب هو أبلغ بلاغة ، وأصفى ديباجة ، وأعلى أدباً ، من شيخ يحمل أمجاد نصف قرن ، أى أنه يؤرخ أدبنا على نحو ما نؤرخ الأدب القديم الذى تقطعت بيننا وبين أهله أسباب الميل والنفار والحب والكراهية . أما هذا الطريق الذى سارت عليه مجلات مصر إلى الآن فحسبنا مالقينا من وعره ووحشته والتوائه .

القاهرة **على الطنطاوى**

(١) الرسالة العدد (١٠٦) — فى ١٥ تموز سنة ١٩٣٥

(١) ومن هؤلاء السيدة وداد السكاكينى : ونرجو أن تتم هذه الفصول التى بدأتها فى الرسالة ، والصديق الأستاذ صلاح الدين المنجد .

صوت من العالم الآخر

[مهداة إلى روح أبي العلاء مؤلف رسالة الغفران]

للأستاذ نجيب محفوظ

— ١ —

مقدمة

[سودت هذه الصحائف يد ميت . كتبها بعد أن فارق الحياة واطمأن إلى مضجعه الأخير . ويبدو هذا — أول وهلة — غريبا لا يصدق ؛ ولكنه يبدو لا غرابة فيه إذا تذكرنا حكمة قدماء المصريين التي أملت عليهم أن يودعوا قبر الميت آثاره وما كان يحبه أو ينتفع به في دنياه ، كي تتمتع روحه — إذا زارت القبر وعاودت الجسد ليلة بعد أخرى — بما كانت تتمتع به في دنياها من مسرات الحياة . فإن كان الميت كاتبا أو دعوا قبره — بطبيعة الحال — كتبه وأوراقه ، وربما تسلت روحه بالكتابة كما كانت تفعل في الدنيا . وهذا ما يبدو أنه كان الواقع في الحال التي نحن بصددها . فقد اكتشفت في العهد الأخير مقبرة لكاتب اسمه توتي من كتاب الأسرة التاسعة عشرة ، عثر بها على مخطوط من البردى تدل القرائن على أن صاحب المقبرة — أو روحه على الأصح — كتبه على أثر الدفن مباشرة . وهو يحوي حقائق غريبة لا يدري الحي عن أكثرها شيئا ولا يمكن أن توضع موضع الاختبار والتجربة . وقد أثارت من الدهشة ما هز الأفئدة جميعاً . ويقتصر عملي على ترجمة هذا المخطوط العجيب دون تعرض للتفسيرات التي أثيرت حوله ، ولا للجدل الذي اكتنف هذه التفسيرات . وللقارىء أن يري فيما جاء به رأيه ، بيد أنه ينبغي أن نذكر دائما أنها خطرات ميت . وإليك ترجمة هذا المخطوط] .

ترجمة المخطوط الهيروغليفي

يا إلهي ! ماذا يعوز هذا القبر من طيبات الحياة الفانية ؟ ! إنه قطعة من صميم الحياة حافلة بما لذّ وطاب . لقد حليت جدرانه بصور الجواري والخدم ، وفرش بأفخر الأثاث ، وأجمل الرياش . وبه ما أشاء من أدوات الزينة والعطور والحلي ؛ وفيه مخزن مفعم بالحبوب والبقول والفاكهة . وها هي ذي مكتبتي حلت إليه بمجلداتها الحكمية ، وما يحتاجه الكاتب من الأوراق والأقلام . هي الدنيا كما عهدتها . ولكن هل ثمة طعم للدنيا في حواسي الآن ؟! أبي حاجة إلى متعة من متعها ؟ ! جهد ضائع ذلك الذي بذله الذين هيأوا هذه المقبرة . بيد أني لا أستطيع أن أنكر أمراً غريباً هو أنه ما فتئت نفسي تنازعني إلى القلم . يا عجبا ! ما لهذه الأوراق تناديني بسحرها المحبوب ؟ ! ألا يزال بي موضع لم يعح منه الموت منازع الضعف والهوى ؟ أقضيّ علينا — معشر الكتاب — أن تشقى بضاعتنا في الحياتين ؟ ! على أية حال لا يزال أمامي فترة انتظار أبدأ بعدها رحلتي الأبدية . فلأشغل هذا الفراغ بالقلم . فلطالما دان القلم الفراغ بالجميل .

رباه ! ألا زلت أذكر ذاك اليوم الذي فصل بين الحياة والموت من عمري ؟! بلى . في ذلك اليوم غادرت قصر الأمير قبيل الغروب ، بعد عمل شاق ، تعناني فيه الجهد ، حتى قال لي الأمير « توتي ... كف عن العمل . ولا تشق على نفسك » . وكانت الشمس قد مالت نحو الأفق الغربي في سياحتها الأبدية إلى عالم الظلام ، ولآلىء من أشعتها المودعة تنتفض انتفاضة الاحتضار على صفحة النيل المعبود . فأخذت في طريقي المعهود متسمتا شجرة الجميز في طرف القرية الجنوبي حيث يقوم بيتي الجميل .

يا آمون المعبود . ما هذا الألم في العظام والمفاصل ؟ ليس ما بي أثر من جهد العمل فلطالما واصلت العمل بلا انقطاع . ولطالما ثابرت وصبرت فغلبت الأعياء بالقوة والعزم . أما هذا الألم المضني ، أما هذه الرعشة المزلزلة ، فطارئ جديد ، امتلأت منه رعباً . أيكون ذاك الخبيث الذي لا ينزل بجسم حتى يورده التهلكة ؟ انطويا طريق القرية بحسنك فما في جوارحي قوة تقبس من جمالك . واغرب ياطير السماء فما في صدر توتي المسكين حنان يناديك ، وأخذت في الطريق قلقاً متأوها . وعند عتبة البيت طالعني وجه زوجي رفيقة شبابي وأم أبنائي . فهتفت بي « توتي أيها المسكين . مالك تنتفض . ما لعينيك مظلمتين ... ؟ ! » فقلت لها عزونا مكتئبا « يا أختاه .. وقع المحظور ... وحل الخبيث بجسم زوجك . هيئي الفراش ودثريني . ونادي الحكيم والأبناء والأحباب : قولي لهم إن توتي على فراشه يضرع إلى ربه . فاضرعوا معه . واسألوا له الشفاء ! » وحملتني التي تهواني على صدرها . وجاء الحكيم لجرعني الدواء

وأشار بأصبعه إلى السماء وقال لى : « توتى ... أيها الكاتب الكبير ! يا خادم الأمير الجليل ! أنت فى حاجة لرحمة الرب . فادعه من أعماق قلبك » . ورقدت لا حول لى ولا قوة . يا آمون المعبود جلت حكمتك ! ألم أصحب سيدى الأمير إلى الشمال فى جيوش فرعون ؟ ألم أشهد القتال فى صحارى زاهى ؟ ألم أحضر قادش مع الغزاة البواسل ؟ بلى أيها الرب . ونجوت من الرماة والعجلات والمعارك . فكيف يتهددنى الموت فى قريتى المحبوبة الآمنة بين أحضان زوجى وأمى وأبنائى ؟ ! وغرقت فى أبخرة الحمى . واشتد الدوار برأسى ، وسال بلسانى الهذيان ، وشعرت بيد الموت ترتاد قلبى . ما أقساك أيها الموت ! أراك تتقدم إلى هدفك بقدمين ثابتتين وقلب صخرى ، لا تتعب ولا تسأم ولا ترحم ، لا تهزك الدموع ، ولا تستعطفك الآمال . تدوس حبات القلوب ، وتتخطى الأمانى والأحلام . ثم لا تبدل سنتك ولو كان الفريسة فى ربيع العمر الزاهر . توتى فى السادسة والعشرين ذو بنين وبنات ، ألا تسمع ؟ ماذا يضيرك لو تركت أنفاسى تتردد فى صدري ؟ دعنى ريثما أشبع من هذه الحياة الجميلة المحبوبة . إنها لم تسؤنى قط ولم أزهد فيها أبداً . أحببتها من أعماق الفؤاد ولا أزال على العهد . كانت الصحة طيبة والمال موفورا والآمال كبارا . ألم تحط بكل أولئك خبراً ؟ ومن حولى قلوب محبة ونفوس والهة ، أفلا تنظر إلى الأعين الدامعة ؟ كأنى لم أعش ساعة واحدة فى هذه الحياة الجميلة المحبوبة . ماذا رأيت من مشاهدها ؟ ماذا سمعت من أصواتها ؟ ماذا أدركت من معارفها ؟ ماذا ذقت من فنونها ؟ ماذا جربت من ألوانها ؟ أى فرص ستضيع غداً ؟ أى نشوات ستخمد ! أى عواطف ستهمد ! أى مسرات ستبيد ! ذكرت ذلك جميعه . ودارت بخلدى أشياء أخرى لا حصر لها ولا حد ، ما بين مفاتن الماضى وسحر الحاضر وأمانى المستقبل . وجرت أمام حوانى الورود والحقول والمياه والسحاب والمآكل والمشارب والألحان والأفكار والحب والأبناء وقصر الأمير وحفلات فرعون والرتب والنياشين والألقاب والفخر والجاه وتساءلت : أيمضى كل هذا إلى الفناء ؟ وانقبض صدرى أيما انقباض . وامتلأت حزناً وكمداً . وهتفت كل جارحة لى « لا أريد أن أموت » . وتتابعت جحافل الليل . فغلب النوم الصغار . ولبثت زوجى عند رأسى وأمى عند قدمى ، وانتصف الليل ونحن على حالنا . ثم استدار وأوغل فى الرحيل ، ثم بهتت ذوائبه بزرقة الفجر . هنالك داخلنى شعور غريب بالرهبة وتولانى إحساس بالخوف . وأطبق السكون وأنذر بشىء خطير . ثم شعرت بيد أمى تدلك قدمى وتقول بصوت متهدج « بنى ... بنى ! » وهتفت زوجى المحبوبة « توتى ... ماذا تجد ؟ » ولكنى لم أستطع جوابا . لاشك أن أمراً استثار جزعهما . ترى ماذا يكون ؟ هل لاح فى وجهى النذير ؟ وتحولت عيناى على غير إرادة منى نحو مدخل الحجرة . كان الباب مغلقاً بيد أن الرسول دخل ، دخل دون حاجة إلى فتح الباب . فعرفته دون سابق معرفة فهو رسول الفناء دون سواه . واقترب منى فى خطى غير مسموعة : كان مهيباً صامتاً مبتسما ذا جمال لا يقاوم سحره فلم تتحول عنه عيناى . ولم أعد أرى من شىء سواه . وأردت أن أضرع اليه ولكن لم يطاوعنى اللسان . وكأنى به قد أدرك نيتى الخفية . فازدادت ابتسامته اتساعا . فأنست منه رفقاً . ولم أعد أبالى شيئاً . انجابت عنى وساوس الليل وأحزانه وحسراته . وغفلت عن دموع من حولى . ووجدت نفسى فى حال من الاستهانة والطمأنينة لم أعهدها من قبل . سلمت فى محبة لا نهائية وتركت جسمى فى المركز وحيداً ! رأيت — دون مبالاة ألبتة — دمى يقاوم فى عروق ، وقلبى يدق ما وسعه الجهد ، وعضلاتى تنقبض وتنبسط ، وأنفاسى تتردد من الأعماق ، وصدرى يعلو وينخفض . وشعرت بالأيدى الحنون تسند ظهرى وتحيط بى . رأيت ظاهرى وباطنى رؤية العين بغير مبالاة ولا اكتراث . وقد تحول الرسول عنى إلى جسمى وأخذ فى مباشرة مهمته فى ثقة وطمأنينة والابتسامة لا تفارق شفتيه الجميلتين . وشاهدت نسمة الحياة المقدسة تذعن لمشيئته فتفارق القدمين والساقين والفخذين والبطن والصدر ، والدم من ورائها يجمد والأعضاء تهمد والقلب يسكت ، حتى غادرت الفم الفغور فى زفرة عميقة . سكن جسمى وصمت إلى الأبد . وذهب الرسول كما جاء دون أن يشعر به أحد . وغمرنى شعور عجيب بأنى فارقت الحياة . وأنى لم أعد من أهل الدنيا ...

للكلام بقية

نجيب محفوظ

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٥١ — والشيب يغمزها بألا تفعلي !

فى (كتاب الأذكياء) لابن الجوزى : قال العتبى : رأيت امرأة أعجبتنى صورتها فقلت لها : ألك بعل ؟ قالت : لا . قلت : أفترغبين فى التزويج ؟ قالت : نعم ، ولكن لى خصلة أظنك لا ترضاها . قلت : وما هى ؟ قالت : بياض برأسى . قال : فثنيت عنان فرسى ، وسرت قليلاً . فنادتنى أقسمت عليك لتقفن ، ثم أتت إلى موضع خال فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السود . فقالت : والله ما بلغت العشرين ولكن عرّفتك أنا نكره منك ما نكره منا .

قال : فخجلت وسرت وأنا أقول :

فجعلت أطلب وصلها بتملق والشيب يغمزها بألا تفعلى

* * *

فى (الأغانى) : قالت امرأة لبشار : أى رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ! قال بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان ؟ فقالت له : أما قولك فحسن فى السمع ، ومن لك بأن يحسن شيبك فى العين كما حسن قولك فى السمع ... ؟ فكان بشار يقول : ما أفحمنى قط غير هذه المرأة .

٦٥٢ — فانا لله وإنا إليه راجعون !

قال الجاحظ فى (الحيوان) : بينا داود بن المعتمر الصبيرى جالس معى إذ مرت به امرأة جميلة ، لها قوام وحسن وعينان عجيبتان ، وعليها ثياب بيض ، فنهض داود ، فلم أشك أنه تم ليتبعها ، فبعثت غلامى ليعرف ذلك . فلما رجع (داود) قلت له : قد علمت أنا متى تكلمها فليس ينفعك إلا الصدق ، ولا ينجيك منى الجحود ، وإنما غايتى أن أعرف كيف ابتدأت القول ، وأى شيء قلت لها ، وعلمت أنه سيأتى — بآبدة[1] — وكان مليا[2] بالأوابد — قال : ابتدأت القول بان قلت : لولا ما عليك من سيمياء الخير لم أتبعك . فضحكت حتى استندت إلى الحائط ، ثم قالت : إنما يمنع مثلك من اتباع مثلى والطمع فيه ما يُرى من سيمياء الخير ، فأما إذ قد صار سيمياء الخير هو الذى يطمع فى النساء ، فانا لله وإنا إليه راجعون ... !

٦٥٣ — لعن الله شر الثلاثة

اطلع مروان بن عبد الحكم على ضيعة له بالغوطة فأنكر منها شيئاً فقال لوكيله : ويحك إنى لأظنك تخوننى

قال : أتظن ذلك ولا تستيقنه ؟

قال : وتفعل ؟

قال : نعم (والله) إنى لأخونك ، وإنك لتخون أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخون الله . فلعن الله شر الثلاثة .

٦٥٤ — أردت أن أقول بعد يوم

قال الحدونى : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة السماء فيها مغيمة ، فأتيته والمائدة موضوعة منطاة وقد وافت مجاب المغنية فأكلنا جميعاً وجلسنا على شرابنا . فما راعنا إلا داق يدق الباب فأتاه الغلام فقال : بالباب فلان . فقال : هو فتى من آل المهلب ظريف نظيف . فقلت : ما نريد غير ما نحن فيه . فأذن له فجاء يتبختر وقدامى قدح شراب فكسره فاذا رجل آدم ضخم ، وتكلم فاذا هو أعيا الناس ، فجلس بينى وبين مجاب ، فدعوت بدواة وكتبت إلى أحمد بن حرب :

كدر الله عيش من كدر العيـ ـش فقد كان صافياً مستطابا

جاءنا والسماء تهطل بالغيـ ـث وقد طابق السماع الشرابا

كسر الكأس وهى كالكوكب الدرى ضمت من المدام رضابا

قلت لما رميت منه بما أكره والدهر ما أفاد أصابا

عجل الله نقمة لابن حرب تدع الدار بعد شهر خرابا

ودفعت الرقعة له فقال : ألا نفست فقلت بعد حول ؟ فقلت : أردت أن أقول بعد يوم فخفت أن يصيبنى مضرة ذلك . وفطن الثقيل فنهض . فقال : آذيته ، فقلت : هو آذانى .

(١) من المجاز جاء بآبدة : بامر عظيم تنفر منه وتستوحش . والآبدة الكلمة أو الفعلة الغريبة والداهية يبقى ذكرها أبدا (التاج) .

(٢) هو ملىء بكذا : مضطلع به (الأساس)

٦٥٥ — فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال ابن جريج : ماظننتُ أن الله ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى كنت باليمن فسمعت منشداً يُنشد قوله :

بالله قولا له في غير معتبة : ما ذا أردت بطول المكث في اليمن ؟
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرتَ بها فما أخذت بترك الحج من ثمن

فحركني ذلك على ترك اليمن والخروج إلى مكة فخرجتُ فحججْت .

٦٥٦ — لا يتيه وزير في وزارته

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على في ولايته الوزارة . فلما صرف رهبني . فلقيني فسلم على فأحفى . فقلت لغلامى: من هذا ؟ قال : أبو موسى . فدنوت منه وقلت . أعزك الله ، والله لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك . فالحمد لله على ما آلت اليه حالك . فلئن كانت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك ، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك . ولله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهنا عن قول الزور فيك ؛ فقد والله أسأت حمل النعم ، وما شكرت حق المنعم .

فقيل له : يا أبا عبد الله لقد بالغت في السب ، فما كان الذنب ؟ فقال : سألته حاجة أقل من قيمته ، فردنى عنها بأقبح من خلقته

٦٥٧ — سارت مشرقة وسرت مغربا

ذكر بعض الأكابر أن بعض أهل الظاهر في عصر الحافظ ابن حجر كتب على تائية ابن الفارض وأرسل إلى بعض العظماء من صوفية الوقت ليقرظه ، فأقام عنده مدة ثم كتب عليه عند إرساله إليه :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فقيل له في ذلك ، فقال : مولانا الشارح اعتنى بارجاع الضمائر والمبتدأ والخبر والجناس والاستعارة وما هنالك من اللغة والبديع ، ومراد الناظم وراء ذلك كله .

٦٥٨ — رقعة . . .

في (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) : قال علي بن عدلان النحوي الموصلي : حضرت بدمشق عند محمد بن نصر بن عُنين الشاعر وزير المعظم ، فجاءته رقعة طويلة عريضة خالية من معنى، فارغة من فائدة ؛ فألقاها إلى قائلا : هل رأيت قط أسقط من هذه مع طول وعرض ، فتناولتها فوجدتها كما قال ، وشرعت أخاطبه ، فأومأ إلى بالسكوت وهو مفكر ، ثم أنشدنى لنفسه :

وردت منك رقعة أسأمتني وثنت صدرى الحمول ملولا
كنهار المصيف ثقلا وكربا وليالى الشتاء بردا وطولا

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة، وعجبوا من حسن المعنى .

٦٥٩ — كتاب أمير المؤمنين لا يكون ملحونا

في (تاريخ بغداد) للخطيب :

كتب (المهدى) إلى عبيد الله بن الحسن العنبرى — وهو قاضي البصرة — كتابا فقرأه عبيد الله فرده ، فحمل عبيد الله إلى المهدى فعاتبه ، فكان فيما عاتبه به أن قال له : رددت كتابى ! فقال عبيد الله[1] : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أردَّ كتابك ، ولكنه كان ملحونا ، وكتاب أمير المؤمنين لا يكون ملحونا . فصدق المهدى مقالته وأجازه ورده إلى عمله .

٦٦٠ — وألقيت عليك محبة مني

في (رسالة الصداقة والصديق) لأبي حيان التوحيدى :

ابن سمعون الصوفي : ما يقف البشر على بعد غَوْر قوله تعالى : « وألقيتُ عَلَيْكَ محبةً منىّ ، وَلِتُصنَعَ على عَيْني » فإنّ في هاتين الكلمتين ما لا يُبلغ كُنْهه . ولو أنّ أرقّ الناس لسانا وألطفهم بيانًا أراد أن يَتوسَّطَ حقيقة هذا القول لم يستطعْ ، ونكصَ مَبْهورا. ثمّ قال : اللهمّ ، حَبّبْ بعضنا إلى بعض ، واجمعْ تَمَكُّننا إلى رضاك عنّا مع إحسانك إلينا ؛ إنّك أهلُ ذلك والجوادُ به .

(١) من أقوال عبيد الله هذا : لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلى من أن أكون رأساً في الباطل . ولله هذا القول .

هـــــذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

خلجات الأصابع تدل على تفكيرك

خلجات أسابع يدك تبين محتويات عقلك . فعند ما تجرى عملية ضرب ويدك مرفوعة فى الهواء ، فإن اهتزازات أسابعها تكون أقل من اهتزازاتها وأنت تستجم . ويزيد هذا الاهتزاز قبلما تنطق بالجواب بصوت مرتفع .

وقد ذكر هذه الحقيقة الدكتور جون فرنش فى نشرة الأبحاث السيكولوجية فقال : إن كمية الاختلاج تزيد بسرعة على أثر صوت مرتفع ، أو عقب مؤثر يستدعى استجابة ، فإذا طلب إليك أن ترفع يدك فى الهواء وتقبض بيدك الأخرى على جهاز معين فان فترة خمود قصيرة تحدث قبل أن يصبح اهتزاز أصابعك كاملاً .

ويقصد الدكتور فرنش بكمية الاختلاج المسافة الكلية التى يهتزها طرف الأصبع بعامل الاختلاج فى ثانية واحدة ، وهذه الحركة تختلف باختلاف الظروف المحيطة بالانسان وهى فى اعتباره ظاهرة عضوية (فسيولوجية) توصل دراستها إلى معرفة اتجاهات العقل وتفكيره .

وتوصل الدكتور إلى هذه المعلومات بتجارب أجراها على خمسة أفراد وباستخدام جهاز خاص بذلك فكان يلبس الأصبع السبابة كستباناً متصلاً بعصا طويلة مرتفعة إلى أعلى وتنعكس العصا والأصبع على مرآة محدبة بحيث تتضخم اهتزازات العصا إلى عشرة أمثال الواقع . ثم صور هذه الانعكاسات لحصل على اختلاجات الأصبع مضاعفة عشر مرات .

معدن جديد يستغل

يعد معدن الليثيوم من أخف المعادن إذ يبلغ وزنه النوعى ٢٠٪ من وزن الألومينيوم . وهو معدن فضى اللون تفوق الكمية الموجودة منه فى كوكبنا الأرضى مثيلاتها من معادن الرصاص أو القصدير

وقد كان معروفا من زمن بعيد ، ولكن الصناعة لم تستطع استغلاله إلا فى السنوات الأخيرة ؛ فإن الإخصائيين فى المعادن تمكنوا من تركيب عدة أخلاط معدنية منه بإضافته إلى المعادن الأخرى . وكانت هذه الأخلاط ثمينة من الناحية الصناعية حتى حرم تصديره

وأزيلت عنه أخيراً قيود التصدير وأبيح استخدامه فى الصناعات العامة مما ينبئ له بمستقبل كبير ؛ فإن خفة وزنه وشدة مقاومته أتاحتا الفرصة فى صناعة أدوات النقل وغيرها إلى توفير كميات الوقود أولا وزيادة السرعة ثانياً فضلا عن رخص الأسعار

لقاح ضد البرد

تدعى بعض شركات العقاقير الطبية أنها تمكنت من تحضير مصل يقى الإنسان الإصابة بالزكام وما يتبعه من أنواع البرد . وقد حذرت الجمعية الأميركية الناس من تصديق مثل هذه الأقوال كما طلبت إلى الأطباء اعتبار جميع هذه الأمصال فى مرحلة التجارب

وبنت الجمعية بيانها على دراسات قام بها لفيف من الأطباء . وتضمنت هذه الدراسات عدداً كبيراً من أنواع اللقاح مما يتناوله الأفراد عن طريق الفم أو الحقن أو الرش داخل تجاويف الأنف ، وكانت نتيجة هذه الدراسات أن أنواع اللقاح كانت سلبية النتيجة ، إما لأنها استخدمت مع أفراد قلائل وإما لأنها استخدمت لمدة قصيرة

وقالت الجمعية فى تقريرها إنه يجب على الأطباء ألا يشجعوا استخدام هذه العقاقير . فإن أراد الأطباء اختبارها فيجب أن تخضع لقيود خاصة تكشف عن فوائدها أو مضارها حتى لا يتكرر وصفها أو تحضيرها

ويلجأ بعض الأطباء إلى أخذ مواد اللقاح من المريض نفسه ، وقد يكون هذا أكثر نفعاً للمرضى أو المعرضين للاصابة بالبرد ولكن الثابت أن أمراض البرد ما زالت تحتفظ بغموضها .

بقايا الدم لقاح

تجمع بعض الهيئات الأميركية الطبية كميات الدم من المتطوعين لتقدمه إلى الجرحى من الجنود لتعوض بها ما يفقدون من

دماء حتى يستعيدوا صحتهم ، ولكن هذه الهيئات لا تستخدم كل مواد الدم بل تنقص نصفه لانقاذ الجنود ، وتستغنى عن المواد الأخرى

وأدت الأبحاث التى أجريت أخيراً إلى أن هذه البقايا الدموية جليلة النفع فهى تستخدم كمادة لقاح ضد كثير من الأمراض ومنها مرض الحصبة كما قال لفيف من أطباء مصلحة الصحة هناك فى بيان نشروه أخيراً فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية

ويؤخذ من هذا البيان أن التجارب أجريت على ٨١٤ طفلا أعمارهم بين ستة شهور وست سنوات لقحوا بمستحضرات هذه البقايا وعرضوا للعدوى بوضعهم مع أطفال آخرين مصابين بها

وكانت النتيجة أن نجا من العدوى ٦٥٤ طفلا وأصيب ١٦٠ بحصبة خفيفة و ١٣ طفلا أصيبوا بالعدوى العادية . وبدون هذا اللقاح كان من المؤكد إصابة ٨٠ فى المائة منهم بالإصابات العادية

بكتريا لصنع الفيتامينات من الإنسان

يتاح للانسان أن يحصل على أنواع من الفيتامينات التى يحتاج اليها فى غذائه اليومى من نفس جسمه كما قال البروفيسور الفيجم الأستاذ بجامعة وسكونسين

ففى الجسم مصانع للفيتامين . وتدير هذه المصانع أنواع من البكتريا التى تسكن الأمعاء . وقد عرف العلماء هذه الحقيقة منذ جيل من الزمن حينما رجحوا وجود علاقة بين البكتريا التى تسكن الأمعاء وبين طول حياة الانسان

وتبين الأبحاث الأخيرة تقدماً ملموساً فى دراسة هذه الأنواع من البكتريا وافرازاتها مما يرجى معه إطالة الحياة البشرية وتحسين الصحة العامة

وآخر هذه الأبحاث يدل على أن أنواع البكتريا المنتجة لأنواع الفيتامينات تختلف باختلاف الأحياء . فهى فى الكلاب أو القطط تخالف مثيلتها فى الدجاج أو القردة أو الانسان . وتختلف فى كل من هذه الأنواع باختلاف ألوان الطعام التى يتناولها ، فبكتريا الحيوانات من آكلة اللحوم تخالف مثيلتها عند آكلة النباتات . ويدخل فى هذا النطاق نصيب كل منها من الفيتامينات فى طعامها .

لافتات للطيارين

وضعت مصلحة الطيران المدنى فى أميركا نظاما لارشاد الطيارين الى مواقعهم . وذلك بانشاء ١٠٠,٠٠٠ لافتة (يافطة) فى أميركا . وتقرر أن يكون سمك الحروف التى تكتب بها اللافتات من ٩ . إلى ٢٠ قدما حتى يراها الطيارون من ارتفاعاتهم الشاهقة . وهى تكتب على الحوائط أو السطوح المرتفعة حتى يسهل على الطيارين رؤيتها كما أنها ستكتب بمواد مشعة تضىء بالليل .

ويذكر فى هذه اللافتات خط طول السكان وعرضه واسم المدينة كما يرسم سهم يبين الاتجاه الشمالى إلى غير ذلك من المعلومات التى يحتاج اليها الطيار أثناء رحلته وترشده هذه اللافتات أيضاً إلى أقرب مطار يستطيع الهبوط فيه .

فوزى الشتوى

حيرة . . . !

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

أأهرب من ذكراكِ ، أم لست أهربُ ؟
وهل من وقاءٍ أن يُجنّ المعذَّبُ ؟
أأترك هذا البيت قد كان عشّنا
وكُنّا به الإلفين والأرض مُعشب ؟
تناغيني بالحب والكتب وحدنا ويا حبذا مغناك مغنًى ومكتب
أأتركه ترك الطريد ، كآدمٍ ؟ ويا ليت أنى ذلك الزوج والأب
طريدٌ ولا حوّاء تُبدل جنتي
بأخرى ، فحوّاى قضتْ قبل تُنجب
أوابقي أوفّى ذكرياتك حقّها
أحَيّى الصبا والعلمَ فيك وأندب ؟
هنا عالم الأنثى ، ثيابٌ وزينةٌ
يُسكّ بها تحتٌ وزدان مشجب
أرى المعطفَ الشاتى تريكاً ، وطالما
أفاض عليه الحسنَ عِطفٌ ومِنكب
ويا ربٌ ، هذا الثوبُ حُلّةُ سهرةٍ
وكان عليه العزمُ لولا المغيَّب
والمح مرآةَ الجميلة عندها
تفانينُ حَلْى : بَهْرَجٌ ومُذهّب
وثمّ قواريرٌ تضوّع عَرْفُها قوارير كانت لى بها تتطيّب
هنا الطيبُ والأبراد والحَلْىُ كلُّهُ
فأين التى كانت بها تتحبّب
إلى أين أمضى عنكَ ، يا طيفَ زوجتى
أليس إلى السلوى مجازٌ ومهرب !!
وأمضى أسرّى من خبالى ، وإننى
لأُشفق من هذا الخبال وأعجب
إلى شُرفتى هذى — ويا حسنَ شرفتى
على النيل تبراً تحتها يتسبسب
كأنْ قد خلَتْ من مجلسٍ ضمّ شملنا ،
وما إن خلا منكِ المكان المحبّب
أأنسى التناجى فى الأصائل عندها وبالأفُق الغربىّ نارٌ تلهّب
نتابع ماء النهر ينساب حالماً ونحن مع الأحلام نطفو ونرسب
مناظر قد كانت ، فباخ ضياؤها وغام عليها دمىَ المتصبّب
فلا حسنَ ، كلُّ الحسن كان بمهجتى ،
وقد كان منك الفيضُ ، فالآن ينضب
إلى أين أمضى عنك — رُحماكِ — زوجتى
أمنكِ إلى ذكراكِ أمضى وأذهب
وأفزع للأسفار فى جوف مكتبى تجاورَ فيها أعجمىٌّ ومُعْرِب
إلىّ جميعاً — بالتعازيم والرُّقى ! فبى طعنةٌ مسمومة لا تُطَبَّب
أفيكنّ من جرح الحياة مُخدّرٌ أفيكن أفيون ، أفيكن قِنّب؟
فما حاجتى علمٌ وشعرٌ وحكمةٌ ، وكيف ، وبوى مستطار عصبصب
وكيف ، وهذا الشعر كان نشيدنا وذى صفحةٌ للفن كُنّا نُقلّب
وهذى تواريخٌ ، وتلك مشاهدٌ مررنا بها سيّان شرقٌ ومغرب
وتمتد كفّى نحو سِفْر أريده فترجع كالملدوغ مسّته عقرب
فهذا كتابى ، ربّ ، هذا كتابها قرأناه نستقصى معاً ونُنقّب
مجاميع أبحاثٍ ، متون تفلسفٍ بهن حواشٍ ، وهى ذاك المعقّب
أيا زوجتى ، قد كنت حافظ مكتبى ،
وقارئه قبلى ، ونِعْمَ المرتّب
لمن أستجدّ الكتب فى كل مطلب
وقد كنتِ لا يعدو اهتمامَكِ مطلب
فكم من علومٍ كنتِ من نَهَم الحجى
جُهَيْنَتَها ، تَرْوَيْن منها وأنهب
تفوّقتِ تحصيلا وحسنَ إفادةٍ ولم تكتبى يوماً وقد كنتُ أكتب
وكنتِ ترجّين الحياةَ لتقرئى إلى جانبى ، والصّنو للصنو يطرب
وحيدان نستوحى الدفاتر علمَها صموتان لا نلغو ولا نتغضّب
خلونا — وفى هذا التفرّد أُنسُنا وفى صمتنا نجوى الهوى والتحبب
ويا زوجتى ، كنتِ المدبّر عيشتى فعيشىَ أهنا العيش طرّاً وأطيب
حرصتِ على مالى ، وصُنْتِ مغيّبى
وأخلصتِ لى فى الحبّ والحبّ قُلّب
تقومين فى شأنى — وثمّة خادمى ،
وحُبّ من الزوج المَروب التقرّب
ومالىَ فى الأهلين بعدكِ عائضٌ ولو قام منهم فى ركابىَ موكب

أصداء ...

للأستاذ أنور العطار

ما كان أفدح أحزانى وأعظمها
لو كنت أحمل من ماضىّ أحزانا
خلفتها صارخات من كآبتها
وعدت أضحك خلق الله أجفانا
يا بؤس قلبى لو عاشت بساحته
لماد من عبثها واهتدّ أركانا
وأنت يا بهجتى عودى ويا فرحى
أملأ فؤادى تزيينا وسلوانا

وطف بروحى فى الآفاق حالية | والنجم مثّلها والبدر وسنانا
وهات من نغم الأملاك قافية | وهات من فلك الأفلاك ألحانا
لعلّنى من أعاليل وأخيلتى | أبيت فى رغد الأحلام نشوانا

خذ الفؤاد صديئا من كآبته
وهات قلبا من الآمال ريانا
جمّ الولوع كثير الشوق لاهبه
يطوى الليالى مفتونا وهيمانا
إذا ألمّت به الأوجاع هدهدها
حتى تزايله برءا ونسيانا
أطوف بالغابر النائى فيرمضنى
أنى ملأت رباع الأمس أشجانا
وإن طويت على غم صحائفه
وإن مررت بحلو العمر أسوانا
وأن شقيت وكان السعد يكلؤنى
وأن ضجرت فذقت المرّ ألوانا
فليت أحلامه دامت مناعمها
وليت طول التشكّى منه ما كانا
كأنّ أصداءه قد خامرت كبدى
ففجّرتنى أشواقا وتحنانا

***

يا فرحة العمر عودى غير آيسة | وأطمعينى فى لقياك أحيانا
لعلّ قلبى وقد هاج الحنين به | يعيش فى غمرة التذكار سكرانا
كأن أعرافه قد ضمخت خلدى | وأوسعتنى أطيابا وريحانا

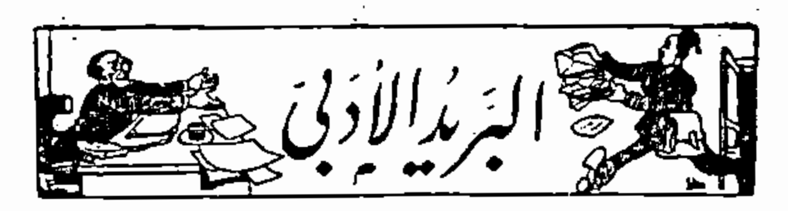
وتلتاع نفسى إن تمهّد ملعبى | سواك ووفّانى الذى أتطلّب
أأشعر أنى عن تعهد زوجتى | غنيت، لقد آثرت أنى الترب
وما بى من سخف وما بى جنّة
ولكنه الحب الشديد المؤرّب
خيالك يا زوجى كظلّى إن أسر، | وإن أبق تمثال أمامى منصّب
خيالك لا أقوى عليه، فإنه
— وقد صار جزءا من حياتى — مقلّب
إلى أين أمضى عنك — لا أين — زوجتى
وما لى غير الموت بعدك منهب

معاد الربيع !

[قطعة من ديوان « أصداء بعيدة » الذى تقدمه جماعة الفكر بعد أيام ...]

للأستاذ العوضى الوكيل

عدت يا صاحبى الربيع ، وعدنا
فامض فى الكون كيف شئت! وشئنا ...
قد روينا عنك القصائد زهرا
فاروِ هذى القصائد الزهر عنا !
ورسمنا ما راقنا من مرائيـ | ـك ، وهل فيك منظر لم يرقنا !؟
قد عمرت الحياة وكنا فركنا
وعمرت القصيد وزنا فوزنا !
لك مسرى أخفى من الروح فى الجـ
ـسم تهادى فى خاطرى واطمأنا !
قد سلكت الحياة فى سبب منـ
ـك فزدت الحياة سحرا وفنا !
أنت فى الغصن حينما يتثنى | أنت فى الطير حينما يتغنى !
ربّ لحن سرى إلى النفس روضا
ورياض سرين فى النفس لحنا !
ضمّ عودُ الربيع بلبلة الأيـ
ـك وإن طرّا فانسقن فى النفس كونا ...



أريحية كريمة

تأثر كريم عظيم لم يرد أن نذكر اسمه ، حين قرأ وصية الرصافي المنشورة فى العدد الماضى من (الرسالة) فتبرع بجنيهين مصريين لخادمه عبد ، وقد أرسلناهما بالبريد المسجل إلى صديقنا الأستاذ طه الراوى ببغداد ليؤديهما إلى هذا الخادم المسكين .

جواب عن تساؤل واستفهام :

قرأت فى العدد ٦١٠ من الرسالة الغراء فى البريد الأدبى (ص ٤٠٢) كلة للسيد أحمد حمد آل صالح تحت عنوان « تساؤل واستفهام » ، فأكبرت له إحفاءه فى التساؤل ، ودقة ملاحظاته فى النواحى التاريخية ، وأحببت أن أجيبه إلى بعض ماسأل عنه :

١ — من أنعم النظر فى معجم الأدباء الذى قام بطبعه المستشرق مارجليوث طبعتين ، ثم حذت حذوه دار المأمون فى طبعتها المشكولة — علم أن كل هذه الطبعات كانت عن نسخة واحدة لا ثانية لها ، وإذا كانت هناك نسخ أخرى فانما هى ناقصة مخرومة . ومن هنا يجد المتصفح للكتاب المذكور أن بعض الأعلام لم يرد منها فى الكتاب إلا النزر اليسير ، فإن المسمين — من الأدباء — بعمرو كثيرو العدد جداً ، مع أنه لم يرد منهم فى هذا المعجم إلا أربعة ، وكذلك المسمون بعبد الله لم يرد منهم إلا عشرة ، والمسمون بعمر لم يرد منهم إلا بضعة عشر ، مما يدل بوضوح على أن قسماً كبيراً من هذا الكتاب لا يزال فى طيات الخفاء . يعرف ذلك كل من تصفح هذا الكتاب من أهل المعرفة بكتب الطبقات ومعاجم الأعلام .

٢ — هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فإن لياقوت معجمين ثنين واحداً منهما للشعراء والآخر للأدباء . والظاهر أن الأمر قد اختلط على بعض الوراقين فنقلوا من معجم الشعراء ترجمات وضموها إلى معجم الأدباء مثل ترجمة الفرزدق وصريع الغوانى وأبى دلامة ومن اليهم .

٣ — على أننا نرى أن نترك كلمة الفصل فى الجواب لياقوت نفسه إذ قال فى مقدمة كتابه هذا ما نصه : « وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع إلىّ من أخبار النحويين ، واللغويين ، والنسابين ، والقراء المشهورين ، والإخباريين ، والمؤرخين ، والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة ، وكلّ من صنّف فى الأدب تصنيفاً ، أو جمع فى فنه تأليفاً ، مع إيثار الاختصار والإعجاز ، فى نهاية الايجاز » .

ثم قال : « وكنت قد شرعت عند شروعى فى هذا الكتاب أو قبله فى جمع كتاب فى أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ، ونسجتها على هذا المنوال ، وسبكتها على هذا المثال فى الترتيب ، والوضع والتبويب ، فرأيت أكثر أهل العلم المتأدبين ، والكبراء المتصدرين ، لا تخلو قرائحهم من نظم شعر ، وسبك نثر ، فأودعت ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر ، فدوّن ديوانه ، وشاع بذلك ذكره وشانه ، ولم يشتهر برواية الكتب وتأليفها ، والآداب وتصنيفها ، وأما من عرف بالتصنيف ، واشتهر بالتأليف ، وصحت روايته ، وشاعت درايته ، وقل شعره ، وكثر نثره ، فهذا الكتاب عشه ووكره ... وأجتزىء به عن التكرار هناك ، إلا النفر اليسير الذى دعت الضرورة اليهم ، ودلتنا عنايتهم بالصناعتين عليهم ، ففى هذين الكتابين أكثر أخبار الأدباء ، من العلماء والشعراء ، وقصدت بترك التكرار ، خفة محمله فى الأسفار ... »

ومن هذا يعلم القارىء الكريم السبب فى إغفال ياقوت فى معجمه هذا ذكر حسان بن ثابت والحطيئة والأخطل ... الخ لأنه ذكرهم فى معجمه الثانى . وأن من جاء ذكره من الشعراء فى هذا المعجم ممن لم يشتهر بالتأليف مثل الفرزدق ، فانما هو من عمل الوراقين ليس غير .

ونحن لا نشك فى أنه إذا تيسر العثور على معجم الشعراء يتبين التمايز بين هذين المعجمين .

٤ — أما الأئمة العظام الذين لم يشتهروا بقول الشعر أو النثر الفنى كالإمام أبى حنيفة والامام أحمد فلا معنى لإثباتهم فى هذا المعجم . أما الإمام الشافعى ، فله شعر معروف ، ونثر موصوف ، لا يزالان خالدين إلى يوم الناس هذا . والمعروف أن الإمام الشافعى

طلب الأدب قبل أن يطلب الفقه . وقد روى الرواة أن عبد الملك ابن قُريب الأصمعى قال : قرأت شعر الهزليين على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس (يعنى الشافعى) .

ملحوظة : ذكر الكاتب الفاضل اسم البحترى بين الشعراء الذين أغفلهم ياقوت فى معجمه هـذا . مع أن ترجمته وردت مبسوطة فى الجزء التاسع عشر من (ص ٢٤٨ إلى ص ٢٥٨) ويظهر لنا أن السبب فى ذكره بين الأدباء يرجع إلى كونه معدوداً فى زمرة المؤلفين ، فإن له ديوان الحماسة الذى عارض به حماسة أبى تمام ، وقد طبع بمصر فى المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٩ فاستحق بهذا أن يُعد بين الأدباء ، كما هو معدود فى الطليعة من فحول الشعراء .

[بغداد — كلية الحقوق] هاشم الراوي

فى الأدب الحديث

أعتقد أن الذين قرأوا شعر الدكتور إبراهيم ناجى يلذّ لهم كثيراً أن يتعرفوا رأيه فى الأدب الحديث ، واتجاهه فى الشعر الحديث ، فلا عجب إذا ما احتفت كلية الآداب ، بجامعة فاروق الأول بالدكتور ناجى محاضراً فى الأدب الحديث .

وقد تجلى احتفاء كلية الآداب السكندرية بالدكتور ناجى فى كلمة موجزة شاء الأستاذ العميد عبد الحميد العبادى أن يقدمه إلى الحاضرين بها ، فتحدث فى إيجاز عن العلم والأدب ، وشرح فى دقة وعمق كيف تعزز بالعلم مادّةُ الأدب ، وكيف ينبغى أن يكون الشعر بعد أن مازجت الثقافة الحديثة بينه وبين العلم ، ثم حدثنا الأستاذ العبادى عن أوجه الشبه بين العالم الأديب — الجاحظ — وبين الطبيب الشاعر — ناجى — وبين الفيلسوف المجرّب ، فرنسيس بيكون ، ذلك الرجل الذى نُحِلَ مسرحيات شيكسبير لما كان من شهرته فى الأدب ، تلك الشهرة التى طغت عليها شهرته كعالم وفيلسوف مجرب

وبعد أن غادر الأستاذ العبادى منصة الخطابة وقف الدكتور ناجى وابتدأ حديثه عن الأدب ، منكراً على الكثيرين من المشتغلين بالأدب فهمهم لمصطلحات الكلاسيكية ، والرومانتيكية ، والرمزية ، ساورد بعض كلمات الرمزيين من الأدباء ، وهى كلمات لامدلول لها ، وكنا نحب أن يذكر لنا الدكتور ناجى أسماء أولئك الأدباء حتى نكون على بينة من الأمر أولا ، وحتى نستطيع دراسة هؤلاء الرمزيين بأنفسنا على ضوء من دراساته التى عرض لنا لوناً منها

ومهما يكن من شىء ، فقد ضرب لنا الدكتور ناجى مثلاً أوجه الخلافات بين المذاهب الثلاثة ، فقال : إن الكلاسيكية تصنع تمثالا من المرمر دقيق الصنع ، معبّراً عن أرستوقراطية الفن ، وترفعه عن الأحاسيس الشعبية ، فتأتى الرومانتيكية فتضع أحمر فى شفتى التمثال . ولا ندرى ، أتصنع الرومانتيكية ذلك تظرّفا أم نزولا إلى منطقة المحسنات الشعبية ؟ أما الرمزية فتسدل على التمثال رداء من الحرير المتموّج

والدكتور ناجى حريص أشد الحرص على أن يحتفظ المجددون من الشعراء والأدباء بالتراث الأدبى القديم ، وأن يتمسك الأولون بعمود الشعر ، أو على حد تعبيره أن يضعوا الخمر الجديد فى الزجاجات القديمة . فلا جديد فى الشعر يمكن أن نزعم أنه مُنبتٌ عن القديم . وليس من شاعر معاصر إلا وهو متتبع خطوات من سلف . وقد ضرب الدكتور ناجى مثلا بشوقى . فقال إنه كان من أعرف الشعراء بدقائق الشعر القديم .

ولقد كان نصيب الأدب الإنجليزى — القديم والحديث — من عناية الدكتور المحاضر نصيب الأسد كما يقولون ! فقد طاب له أن يسرد لنا نماذج عدة من ذلك الشعر على سبيل الاستشهاد

على أن إحجامى عن إثبات ما استشهد به الدكتور ناجى من شعر مترجم لا يمنعنى من أن أعتب عليه ، وهو الداعى فى غضون محاضرته إلى شعر القوة ، قراءته ذلك الشعر — العريان — على حد تعبيره فى حشد من طالبات الجامعة ، وكان يحسبه أن يشير إلى من شاء بأن يقرأ شعر « لورنس » — إن يُرد أن يطلع على لون من الأدب المكشوف

الاسكندرية على حسن حموده

وحدة الروح والهوى :

أربعة من الشباب جمت بين قلوبهم آمالٌ حلوة ، وعقدت بين أرواحهم أواصرَ القربى آلامٌ مرة ، ولمّ شملهم صلاتٌ من الفكر واتفاق النظرة إلى الحياة ، ونزعات من خلجات الفؤاد .

كنا — ولا نزال — نلتقى كلّ ليلة عند صديق لننفّس عن نفوسنا بما نبى من أحاديث ، وبما نتداول من آراء ، وبما نتطارحه

من أخبار الشعر والأدب : فنتعرض للحرب ، وننقد الأوضاع ، ونقرظ الحسن ، ونسخر مما يدعو إلى السخر .

فني ليلة من ليالينا اللاهية الجادة ، أقبل علينا صديق ، وبيده الأعداد الأخيرة من مجلة «الرسالة» الغراء . فقلت : هاتها ، هاتها ، هات مصر مثقفة ، هات الينبوع السلسال ! فقال : كلا ولكن انصت؛ فسمت وصمت الآخرون ، وراح صديقنا يقرأ: « لاحت[1] فى جوانب العام المنصرم تباشير السلم كما تلوح فى هوادي الليل تباشير الفجر الكاذب ، فانبعثت روافد الأمانى هنا ، وتحلبت أشداق المطامع هناك ، وابتهل العالم العربى إلى الله أن يوقيه ويلات السلم ، كما وقاه ويلات الحرب ، فأوحى إليه أن يتحد ... »

وهنا هتف صديقنا الأستاذ عبد القدوس الأنصارى : إنها والله زباتية يا رفاق ، فقلت : لعلك تعنى هــذه الفقرة من المقال ، فقال : أى والله ، أمعن فى قوله « فأوحى إليه أن يتحد » فصمتنا جميعاً نتصور مبلغ ما أوتيت هذه العبارة من جمال

ومضى صاحبنا يقرأ حتى بلغ: « ذلك وحى الضرورة نزل على قلوب الساسة فصدعوا به ، وعملوا له ؛ وهنالك وحى الطبيعة أوحته القرابة الواشجة ، واللغة الواحدة ، والوطن الشاع ، والتاريخ المشترك » فصمت صاحبنا وقد غرقت عيناه بالدموع وكان مؤثراً فى قراءته ، فالتفت إلى صديقى الأنصارى وقلت : ماذا ؟ فقال : حسب الزيات أن يبكى من جراء قلمه الأدباء! ثم وضع جبهته على كفه وراح يفكر، وللأنصارى فى عوالم الفكر سبحات

يا لروعة البيان ! سطور ثلاثة تجمع كل روابط العرب فى بيانٍ فاحلك بالٍ ، هــذه الروابط التى يبعث ماضيها فى النفس سروراً وبهجة ، ويسكب حاضرها الكسير فى القلب لوعةً وشقاء ! ! !

سطورٌ ثلاثةٌ طوت التاريخ منذ خلق الله البشرية إلى اليوم الذى نعيش فيه ، «فالوطن الشاع» ما هو غير هذه البلاد العربية ؛ مصرها وشآمها ، ونجدها وعراقها وحجازها وعنها وحضرموتها .

. ما هو الوطن الشاع غير هذه القاطعات المقسمة المحددة المبعثرة المفرقة « واللغــة الواحدة » ما هى غير لغــة القرآن ؟ ما هى غير لغة الخلود ، لغة الضاد أمنا الرءوم وعزنا القوى ، ورجاؤنا الكريم ؟

ما هى « هذه اللغة الواحدة » غير ما قلت وغير ما ثار عليه صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا ؟ عفى الله عنه .

« والتاريخ المشترك » ماهو غير هذه الصفحات الوضاء بأسطار المجد وآيات النضال ؟ ما هو غير هذه السطور الشاعة بالعظمة والخلود

ما هو هــذا التاريخ المشترك غير ما نقول ، ويقولون ، وغير ما يقرره الشرق ، فيعترف به الغرب ، ما هو غير هذا وأكثر من هذا ؟

وهذه « القرابة الواشجة » أليست مستقاة من الدين واللغة والرحم والوطن .

فما نحن وهذه الروابط ؛ أليست داعيا قويا إلى أن نتحد ثقافةً ولغةً ووطناً ؛ فنقوى بعد ضعف ، ونعرف بعد جهل ، ويقام لنا ويقعد ، بعــد أن كنا غفلا من كل عناية لا يؤبه لنا ، ولا يقام لنا وزن !

لهذا فلنتحد . وقد أوحى الله إلينا بالاتحاد لننجو من حرب ما بعد الحرب .

ورضى الله عنك أبا رجاء وأرضاك .

(مكة) **عبد الله الغاطى**

(١) الرسالة العدد ٦٠٠



أربعـــــة كتب

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

١ — القومية والعروبة

هذا الكتاب على صغر حجمه يعد من أمتع ما كتب في موضوعه . سار فيه مؤلفه الأستاذ نقولا زيادة ، من حياة القبيلة أو العشيرة ، إلى حياة المدينة فالدولة ، وذكر فيه فكرة نمو القومية والوطنية أولا ، ثم وقوفها أجيالا طويلة ، ثم عودتها ثانية للظهور بعد عصر النهضة الأوربية المعروفة بالرينسانس . وذكر أثر تلك النهضة في التحرر الفكري والتعبيري الذي كان من نتائجه محاولة التعبير عن النفس باللغة الوطنية : وتلك هي الخطوة لنشأة الشعور الوطني والقومي .

وللعروبة في هذا الكتاب فصل يعد ، على إيجازه الكثير ، تلخيصاً جيداً لتاريخ الأمة العربية ، والموجات التي انساحت منها . ولو أن المؤلف أطال في هذا الفصل لاستطاع أن يلائم بين فصول الكتاب من حيث معالجة الموضوع . وذلك ما نعيبه على صديقنا المؤلف ؛ فإنه لم يكتف بنصيب العروبة الضئيل في مكانها العالي الآن ، حتى جعل نصيبها في كتابه ضئيلا .

والأستاذ نقولا منصف للإسلام ومتعصب لعربيته . وهو يدعو غير المسلمين — وهو منهم — إلى إتقان اللغة العربية ، وفهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً . وفي ذلك أجران : أجر المسلم عند ربه ، وأجر غير المسلم عند نفسه وعند عروبته ، وعند أبنائه الذين ينشأون على منهج عربي صحيح .

وهذا كلام فيه من الجمال ، والسماحة ، واتساع الأفق ، وصدق الوطنية ، وقوة الروح العربية ، ما لا يصدر إلا عن فتى عربي مثل أخي المسيحي نقولا زيادة ، الأستاذ بالكلية العربية بالقدس ، وخريج جامعة لندن ، والذي أهدى كتابه « إلى كل من علمني درساً في الوطنية » .

٢ — المنتخب المدرسي من الأدب التونسي

العروبة كلها وطن واحد مهما تباعدت بها الأصقاع . ألم يكن المتنبي ينشد الشعر في حلب فتردده الدنيا في كل بلدة عربية من العراق ، إلى مصر ، إلى اليمن . واللغة العربية رباط يصل بين العرب والمستعربين . وقد وصل في القديم بين العرب وغير العرب ممن أظلتهم الراية الإسلامية .

وما أحوجنا نحن العرب ، في هذه الأزمان ، التي تلعب فيها الأحداث السياسية أدواراً جساماً ، إلى أن نصل بين تراثنا الفكري ، ونصل منه ما قطعت الأيام .

في تونس أدباء ، وفي تونس شعراء . ومن ثرى تونس الخضراء نبت علماء ، نبتت لهم في الفكر العربي شئون ، مثل ابن خلدون . وإذا أتاحت ظروف النبوغ لرجل مثل ابن خلدون أن يشتهر في العالم العربي ، وغير العربي ، فإن مئات غير ابن خلدون لا تزال نحتاج إلى التعرف إليهم ، والقراءة لهم .

وهذا ما فعله الأمير حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي ، حين أخرج كتابه « المنتخب المدرسي من الأدب التونسي » . وقد أحسنت وزارة المعارف المصرية في طبع هذا الكتاب ، الذي يعرف أبناء العروبة بإخوانهم في العروبة والإسلام أهل تونس من أهل الشعر والأدب والعلم . كما أحسن سعادة حسن حسني عبد الوهاب في تأليف هذا الكتاب وإهدائه إلى كل تلميذ عربي نجيب .

والواقع أن أستاذنا المؤلف الفاضل كان متواضعاً في إهداء كتابه إلى « التلميذ » ، فهو كتاب يُهدى إلى المعلم والمتعلم على السواء . ولكن في الرجل تواضعاً يبعد به عن الادّعاء .

لقد أمتعني هذا الأمير التونسي المتواضع العالم بهديته النفيسة التي عرفتني إلى فضيلة أرضه وفضل قومه . وهم إخواننا وجيراننا . والحق أن هديته هذه باقة تونسية مختلفة الثمر ، ناضرة الزهر . ولو أنها وصلت إلى أدباء القرن الرابع عشر الهجري ، لعرفتنا بتونس الحديثة التي يهم كل عربي أن يعرف كثيراً عن أدبائها وشعرائها وعلمائها . ولكننا نطمع منه في دراسة أخرى تصل حاضر تونس بماضيها ، ولعله فاعل إن شاء الله .

٣ — إلى الأبد

هذه ملحمة شعرية جديدة للأستاذ إلياس أبي شبكة ، الأديب الشاعر اللبناني المعروف . أخرجتها دار المكشوف ببيروت . وهي دار لصنيعها في النهضة الأدبية الحديثة أطواق في أعناقنا .

ولقد حاولت أن أدرس شعر هذه الملحمة الفاتنة على وجه واسع إلا أن « الرسالة » الغراء قيدتني في هذا المكان الضيق وقالت لي اكتب ! كما يقيد الرجل الطير في قفص ويقول له غرِّد !

ولست بمستطيع ذلك على سبيل يرضى عنه النقد والذوق . فآثرت أن أنقل إلى القراء بعض أبيات من هذه الملحمة تعرِّفهم بنفسها وتدلهم على جمالها . قال :

جُنت الدنيا كما تهوى فخني إنما الدنيا هوى منك وسنى
أنزلت عيناك في محرابها من سماء الحب سلواى ومَنىِّ

وقال :

أحبك ... لا أدرى لماذا أحبها كفاني إيماني بأني أشعر
وأهوى الذى تهوين حتى كأنني بقلبك أستهدى وعينيك أنظر

وقال :

أحبك لا أرجو نعيما يصيبني وأبذل من قلبي ولا أبتغي جدوى
وقد كنت أهوى فيك حسنا أناله
فأصبحت أهوى فيك فوق الذى أهوى

وقال :

كنت في الناس كالنساء فلما جئت قلبي ظهرت شعراً ولحنا
وزرعت الآمال فيَّ نجوماً أى كنز أحب منها وأغنى ؟
نحن يا ليلَ أسعد الناس فلنغـــفر لهم كل ما يقولون عنا !

ولقد كنتُ وأنا أمضى في قراءة هذا الديوان — أو هذه القصيدة الفريدة — أخط بقلمي على كل موضع فيه منها جمال . فلما كثرت الخطوط خرجت من هذه المهمة بأن القصيدة كلها نشيد عذب من الجمال . فأهنئ الأخ الشاعر « الياس أبو شبكة » على تحفته ، وأشكره على هديته . والقصيدة كلها — على اختلاف أوزانها وقوافيها — تجرى على نغم حلو الرنين مستقيم الوزن

ولقد وقفت وأنا أقرأ هذه القصيدة عند بيت أعجبني وهو :

سوف نغدو في الورى أسطورة ينقل الناس الهوى عنك وعنى

أترى في أى ديوان قرأت مثل هذا البيت ؟ ولأى شاعر ينسب هذا المعنى ؟ ألم يقل شوقى في مصرع كليوباترة :

غننا في الشوق أو غنى بنا نحن في الحب حديث بعدنا

نعم قال شوقى ذلك . ولكن الياس أبو شبكة زاد عليه بوله « ينقل الناس الهوى عنك وعنى » وتلك زيادة شرح وبيان زاد بها المعنى حلاوة وليست من فضول الكلام .

٤ — عطر ودخان

اشتهر الأستاذ محمود تيمور بالقصة وله فيها مكان مشهور أما أدب المقالة فلم يطالعنا منه إلا هذا الكتاب الجديد « عطر ودخان » . فهو محاولة أولى من قلم تيمور؛ ولكنها محاولة ناجحة ، فإن أفكار تيمور التي كان يبثها في خلال قصصه ومسرحياته نراه اليوم يبثها في خلال طائفة من المقالات الممتعة .

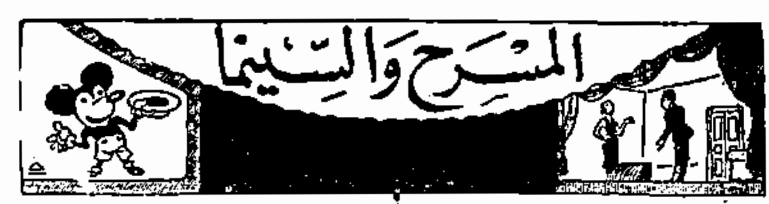
ولكن أليس لنا أن نتساءل لماذا عدل تيمور عن فن القصة في معالجة المشكلات إلى فن المقالات ؟ هل وجد في المقالة متسعاً للعلاج لم يجده في القصص والمسرحيات ؟ جواب هذا السؤال عند تيمور نفسه . ولكننا نستطيع أن نؤكد له أن هذه المقالات فيها من المتعة الفنية الكثير . وأن فيها من روح القصصي الكثير . وأن فيها نفوذاً إلى دقائق الحياة عالجها تيمور في هدوئه ورفقه أكثر مما يعالج الكتاب الاجتماعيون المشكلات بالأرقام والمستندات ...

وأول شيء في هذا الكتاب فصل عن الرجعية الجيدة وكونها من دعائم النهضة الحديثة . فالأستاذ تيمور في هذا الفصل العميق ينادى بأن نأخذ من الجديد ما يُبقى على شخصيتنا ويجعلها قوية نامية . وينادى بأنه ليس من المستطاع قطع الصلة بالماضى قطعاً باتا مهما يكن من أمره ومهما تكن المصلحة في هذا القطع . فما يدعو إليه غلاة التجديد من نفض اليدين من تراث الماضى مضاد للطبيعة القاهرة التي جعلتنا زبدة ذلك الماضى . وهذا كلام جميل وخاصة من رجل كمحمود تيمور عرف ثقافة العرب وثقافة الغرب . ولعل هذه الصرخة الكريمة من تيمور مضافة إلى صرخات المعتدلين تحمل المغالين في تحقير القديم على أن يخففوا من غلوائهم .

وهذا الفصل الأول جمله تيمور جداً كله ، ولهذا صدَّر به كتابه الجديد ، إلا أن في الفصول التالية جمعاً بين الجد والدعابة . ودعابة تيمور كالجد لأنه يرسلها في جو من الحياء والاستحياء والوقار فيختلط على قارئه الأمر ولا يدرى أجاداً كان أم مداعباً ...

ومحمود تيمور بارع في الصور الوصفية للرجال ، ولا شك أن لوحاته الثلاث لشقيقه اسماعيل باشا تيمور ولصديقيه زكي طليمات وبشر فارس هي مما يحملنا على أن نستزيده من مثلها لأخواننا الأدباء ...

محمد عبد الغنى حسن



نقد فيلم «القلب له واحد»

تأليف وإخراج بركات . إنتاج آسيا

القصة :

تصور طبقتين مختلفتين، الطبقة الأولى تعقدت نفوس أصحابها بحب المظاهر وهذه يمثلها ملك هانم وابنتها منى ، والطبقة الثانية صفت نفوس أصحابها فساروا فى الحياة سيراً طبيعياً لا يعتوره مغالاة ولا تكلف ، وهذه تمثلها سعاد . والجميع فى بيت واحد هو بيت شوكت بك ، فملك زوجته تحوط ابنتها منى برعايتها وحنانها . وسعاد – ابنته من زوجته الراحلة – منطوية على نفسها ترسل تغاريدها شجية فيستمع لها الخدم ويمسحون دموعها فتتعزى بعطفهم وتنسى ما ألمّ بها من حرمان . وهنا شاء المؤلف أن يكون هناك صراع بين الفتاتين حول رؤوف فأيهما ستفوز ؟ هذه منى بجمالها المتكلف تلاحق رؤوف فى كل مكان وتحاول – بمعاونة أمها – أن تطويه ، وتلك سعاد لا تملك من السلاح إلا البساطة والسذاجة وعلى الرغم من ذلك فلا يتردد رؤوس فى اختيار سعاد فأنساها بذلك ما لقيته فى الحياة من شقاء . فغنت سعاد ولكن غناءها فى هذه المرة يختلف عما اعتادت أن تغنى به فكان ذلك خير ختام للقصة .

هـذا هو ملخص لقصة الفيلم وقد وفق المؤلف فى إبراز فكرته فى بساطة محببة وأسلوب لطيف خال من الافتعال الذى نلمسه فى أكثر الأفلام .

التمثيل :

صباح – قامت بدور (سعاد) فنجحت كممثلة أولا لأن المخرج لم يرهقها بتعاليمه وإنما تركها على سجيتها فاستطاعت أن تكون ممثلة وممثلة عظيمة ، أما كمطربة فقد تعاون زكريا والقصبجى ورياض على تكييف صوتها ، واستطاعت هى أن تأسر الجمهور بصوتها وهى تغنى (أروح والا ما أروحش – وانا مالى كده مستخده – وبشويش على عقلك بشويش – وحيرانه يا ربى)

أنور وجدى : قام بدور (رؤوف) وكان من الممكن أن يكون هـذا الدور درة أدوار أنور العاطفية . ولكن المخرج كان يعلم أن أنور ليس بالممثل العاطفى ، فجعل كل مواقف النجوى بينه وبين صباح أقرب إلى الفكاهة وحسناً فعل ، فقد نجحت تلك المواقف وخاصة عند لقائهما على شاطئ النيل وفى البيت حين ظنته سارقاً . والحقيقة أن أنور يجيد تمثيل دور العاشق العابث ، أما العاشق الجـدّى الذى كان جديراً أن يسند إليه هذا الدور فلم تعثر عليه السينما المصرية بعد .

سليمان بك نجيب – قام بدور – (شوكت بك) وكان عليه أن يكون ضعيفاً مستسلما فى أول الفيلم فكان الضعيف المستسلم ثم كان عليه أن يثور فى آخر الفيلم فثار وهنا . وهنا فقط ظهرت موهبته . ميمى شكيب – قامت بدور (ملك هانم) وهو دورها الذى تجيد تمثيله من غير شك . فردوس محمد – قامت بدور (الداده) فأدته على أكمل وجه ، أما محمد كامل واسماعيل يس وعبد الحميد زكى وعبد النبى محمد (فريق الخدم) فكانوا موفقين كل التوفيق . يحيى مراد – نجم جديد ظهر فى بعض الأفلام ولكنه فى هـذا الفيلم أثبت موهبته على الرغم من قصر دوره . الضوء ، والصوت ، والمناظر . لابأس ..

الإخراج : لم يخل الإخراج من بعض الهنات كان من الممكن تلافيها مثال ذلك : مهاجمة العصابة للسيارة من غير أن يحاولوا الاستخفاء حتى على النظارة ، والمغالاة فى معاملة ملك ومنى لسعاد (والعريس) الذى جاء لخطبة سعاد على صورة مشبعة بالإفتعال وموقف سعاد وهى تنتظر والدادة . وإجادة سعاد للرقص مع أنها ترقص لأول مرة ، وموقف سعاد من رؤوف فى نهاية الفيلم ، وليس بمعقول أن تخدع فتاة – مهما كانت سذاجتها بشاب أنيق مثل رؤوف بأنه (غلبان ومسكين ومش لاقى يا كل) . وعلى الرغم من هذه الملاحظات فقد قفز بركات بفن الإخراج قفزة موفقة نهنئه عليها .

أما بعد ، فإذا كانت السينما فى مصر لم تزل موسوعة يحوى الفيلم الواحد مواقف متعددة . درامية وكوميدية ورقصاً واستعراضا وغير ذلك فإن مخرج هذا الفيلم قد نجح فى المزج بين هذه الأشياء وفى نفس الوقت عالج مشاكل اجتماعية لها خطرها فى أسلوب رائق متجدد خال من الافتعال والتكلف والحشو، ولا يسعنى إزاء هذا المجهود إلا أن أهنىء آسيا وأتمنى لبركات والجميع من اشتركوا فى الفيلم اطراد التقدم .

عبد الفتاح متولى غبن